أولا : أبــو الهـول

الفصل الأول

تجرى أحداث هذا الفصل فى غرفة نوم بيت من بيوت الطبقة المتوسطة حيث لجتمع عدد من الأشخاص للاحتفال بحدث عظيم . تشاهد على المائدة أكواب الشاى وبقايا مرطبات. فى جانب الغرفة دولاب بمرآة كبيرة .

المشهد الأول

(إوفيميا – آنخيل – خواكين – إوسيبيو – تيودورو – بيبى – نيكولاس)

خواكين : (موجها الحديث إلى آنخيل) والآن بحق لن يتجاسر أحد على منازعتك الزعامة. فقد فزت بها بالتزكية الشعبية.

إوسيبيو : لم أنتظر منك حقا كل هذا. ما سمعتك أبدا أفضل من اليوم.

بيبى : رائع .. يالها من قوة ، ياله عزم ، وأسلوب فى إثارة مشاعر الجماهير ، أعي الآن ما يروى لنا عن خطباء من أمثال ديمستنيس ، وشيشرون ، ميرابو..

آنخيل : صه ... صه ... ، هدئ من روعك.

بيبى : هيهات!، أنت يا عزيزى خطيب مفوه (يصفعه على كتفه)

نيكولاس : جاء خطابك صفعة قاتلة لهذه الطغمة الطاغية البائسة التى لوثت شرفنا وأذلتنا.

تيودورو : إنك تملك ناصية الكلم ... معتدل الإيماء، وقور النبرة، متفان ، نعم هذه هى الكلمة ، تفان وتعبد...

آنخيل : تعبد!؟

إوسيبيو : نعم ، فقد قارب خطابك الوعظ.

نيكولاس : أحتج على هذا التشبيه.

تيودور : صدق الدكتور. قارب الوعظ ، مما أضفى على الحدث مسحة دينية. لقد ألفت الجماهير الخطب الدينية و ...

خواكين : أليست ثورتنا قربانا مقدسا؟

نيكولاس : لا ، فالثورة هى الثورة ، حق طبيعي ، إنساني فى كل أبعاده.

خواكين : إنساني خالص ، إلهى ...

آنخيل : تجاوزت الواقع إلى الغيبيات.

تيودورو : كان عملا عظيما .

نيكولاس : لا ، بل قل عملا ثوريا .

تيودورو : لا فرق ، آنخيل أنت قادر على صنع حياة بديعة، على صنع تاريخ حقيقي.

آنخيل : لتنظمه أنت شعرا ، أليس كذلك؟

تيودور : ربما !

بيبى : لا عليك ، ها أنا طوع أمرك ، على استعداد لأي شئ.

آنخيل : على رسلك يا عزيزى ، ستكون فى الجنة رفيقى ...

خواكين : لن تتغير! إوفيميا أنت أول من يستحق التهنئة ، فأنت

وجدان هذا الرجل ، سنده ، وإحساسه بالواقع . أكاد أجزم أنه لولاك لفقدناه فى إحدى نوبات كربه واكتئابه.

بيـــــبى : نوبات الكرب والإحباط من سمات أصحاب الرسالات.

آنـخـــيـل : بيبى ... تبدى أكثر مما يجب ما خفى فيك من عيوب.

إوفـيـمـيـا : (موجهة الحديث إلى آنخيل همسا) فلتفسح لهم صدرك.

آنـخـــيـل : ألا ترين أنهم يثقلون علىّ ...؟

إوسيـبيـو : سندعك وحدك فأنت فى حاجة لاستيعاب ما حققت من انتصار.

إوفـيـمـيـا : يستحق هذا الشعب المسكين حقا كل تضحية.

آنـخـــيـل : حقا! أترين أنه من واجبى التضحية بنفسى من أجل الشعب؟

بيـــــبى : أفى ذلك شك ؟

آنـخـــيـل : ها أنت تحظين بتأييد بيبى الطيب ، فهو أيضا شعب.

بيـــــبى : شكرا يا معلمي.

إوفـيـمـيـا : يؤيدني فى ذلك كل من وعى ذاته ، أتتخلى عن الشعب؟

آنـخـــيـل : (متداركا) أصبت ، لا بد من خدمة الشعب . أيها الشعب المسكين ، تريد ولا تدرى ما تريد ، فما ندرى نحن ما نريد ، ولا نريد. الحرية ... الحرية ... قُدس اسمك ... الحرية الحق. عندما يلتئم الجرح تسقط القشرة التى حمته زمنا حتى يلتئم ، من أجل ذلك يجب أن تسقط كل سلطة بشرية، لابد من استئصال الأنماط الميتة ، يجب تحطيم

القيد الذى كبل الشعب ، حتى نطلق أسره . كلى ثقة فيه . وفى أن قدرة الجماهير هائلة ما لم تفسدها أباطيل غريبة عليها.

خواكين : لا فض فوك ، هذا ما أحبه فيك.

إوسيبيو : أباطيل غريبة ، بلاغة ...!

آنخيل : بلى ، لنا أن نستمتع بالراحة الأبدية بعد أن هيأنا المستقبل ، ولتطأ بعد ذلك الإنسانية حرة التراب الذى سنؤول إليه . سيأتي اليوم الذى تصير فيه هذه الأرض العتيقة أيضا ترابا ، يتناثر فى الفضاء حاملا معه علمنا ، وفننا ، وحضارتنا . حينئذ ستغنى أفلاك السماء نشيد الحرية التى حلمنا بها . مسكين الشعب . إوفيميا لك الحق كل الحق ، فهو جدير كل تضحية ...

تيودورو : (كان يصلح من رباط عنقه أثناء حديث آنخيل) إثارة رائعة للمشاعر ، كلام جلل.

إوسيبيو : الأعصاب هزتها المشاعر ... فلندعه للراحة فهو فى حاجة لها.

خواكين : سندعك ، تهاني مرة أخرى .

آنخيل : انتظر أنت يا بيبى ، وأنت أيضا ... تعالا إلى مكتبى . (موجها الحديث إلى إوسيبيو) أما أنت فاعد لى هذا الدواء.

(ينصـرف آنخـيل ، وخـواكين ، و تيـودورو ، و بيـبى ، ونيكولاس بعد تحية إوفيميا وإوسيبيو)

تيـودورو : (هامسا لدى انصرافه) سيبقى هذا الثعبان ، ... أسرار!

المشهد الثانى

إوسيبيو و إوفيميا

إوسيبيـو : لا تهملى زوجك ، يبدو لى أن انفعالات ليلة الأمس قد تضره.

إوفيـميا : على العكس . حياة ! ، حياة ! ، حياة ! الحياة تخنق مشاعر الطفولة وموجات الحزن التى تنتابه.

إوسيبيـو : قد تخنقه هو ...

إوفيـميا : لا عليك ، أنت لا تعرفه . ليس فى حاجة إلا لمن يؤازره.

إوسيبيـو : حقا ! (يجلس إلى المائدة ، يزيح بيده فنجان قهوة ، يمد يدها إلى جيبه ليخرج كراسة صغيرة ينزع منها ورقة) قلم ...

إوفيـميا : (تتحدث بينما تتجه إلى ركن الغرفة وتحضر محبرة وقلما من العناية الإلهية أن ينذر نفسه حرا بغير قيد ، جسدا وروحا لمهمته الحقيقية.

إوسيبيـو : (يكتب) عناية إلهية ...، مهمته الحقيقية ... لم أعرف فيك

مثل هذه الرؤى . آه ، كم تعلم الحياة.

إوفيميا : درجت على الفطنة ...

إوسيبيو : صه ... تنشدين ملء فراغ روحه ، فتشبعيه بأحلام المجد. هذا النوع من الفراغ لا يملأ هكذا ...

إوفيميا : كلما جاء ذكر آنخيل تحدثت عنه بطريقة ... يدرك منها أي إنسان ...

إوسيبيو : نعم ، لن أنسى أنك تركتينني من أجله ... أصدقي القول.

إوفيميا : فلنتحدث عن شئ آخر!

إوسيبيو : انظري يا عزيزتي ، فلنكن صادقين دائما أبدا ، إنه موقفك الأبدي من رجلك العظيم . أدرك أنك قد بدأت ترين الأمر بوضوح .

إوفيميا : أطياف خيال ترى.

إوسيبيو : بل واقع. وأراه في كل أبعاده ، من العبث إنكار ذلك ، لقد رأيته ، رأيت رجلك العظيم ... ،رأيته ... عاريا ...
أتعلم ؟ لو لم تكن إوسيبيو لطردتك من البيت ...

إوفيميا : هذا ما يحدث دائما ، لو كنا آخرين (يخفض من صوته

إوسيبيو : عندما يشعر بقدوم آنخيل بعد أن ودع أصدقاءه) هاهو ...
لو حدث يوم ما...

إوفيميا : لست في حاجة لأحد ، إما أن أحقق كل شئ معه أو لا شئ بدونه . لا تعاود الحديث معي في هذا الشأن.

المشهد الثالث

اوسيبيو، إوفيميا ، آنخيل

آنخـــيل : (داخلا) ماذا ؟ تصفية الحسابات القديمة ، أليس ذلك؟

إوسيبيو : آه ، لا ! قد تعرف أن للصداقات القديمة ...

آنخـــيل : إوسيبيو، لم تكن أبدا صريحا معى . ذكرتك مرارا وتكرارا أن الصراحة المطلقة كفيلة بالقضاء على الخلافات والهموم . وأننا إذا نظرنا بعضنا البعض بأنفس مكشوفة ، لانصهر تراحمنا فى حب عظيم.

إوسيبيو : (يمد له يده بالدواء) هاهو ...ملعقة قبل الغداء ، وأخرى قبل العشاء. عليك بالراحة.

آنخـــيل : وصفات طبية ! فلنحترم العلم حتى يحترمنا !

إوسيبيو : سأتركك الآن لتستريح ، لأنني أرى أعراضا منذرة بالخطر، عليك بالراحة ! (يواجهه آنخيل عاقدا ذراعيه على صدره ، منتظرا أن يفرغ من كلامه) عليك بالراحة .

آنخـــيل : لا بأس ، أكمل حديثك.

إوسيبيو : قلت ...

آنخـــيل : قلت كل ما لديك؟

إوسيبيو : نعم .

آنخـــيل : حسن (يمد له يده ، وعندما يصافحه إوسيبيو يأخذ يده

بين كفيه، يقترب منه قائلا) كن صريحا ، ما رأيك فى ليلة الأمس؟

إوفيميا : ألم يقل لك رأيه؟

آنخيل : الحديث معه وليس معك. كيف بدوت لك؟

إوسيبيو : لم تكن أنت من تتحدث ، بل آخر. لقد تفوقت على نفسك . أما فيما يتعلق بالجمهور ، فأعتقد أنك قلت له شيئا وفهم آخر.

آنخيل : أدرك ما تعنى ، وداعا.

إوسيبيو : وداعا ، إوفيميا

إوفيميا : وداعا ، إوسيبيو

المشهد الرابع

إوفيميا و آنخيل

آنخيل : مسكين!

إوفيما : آنخيل ، لك أسلوب فى العطف جارح...

آنخيل : هذا لأن أشد الناس حاجة للعطف ....

إوفيما : دعك من ذلك ، ارفع رأسك ، وإلى الأمام قدما . لا تفكر إلا فى قضية الشعب.

آنخيل : قضيتك ، أليس كذلك؟

اوفيما : نعم ، قضيتى. عندما استمعت لك ليلة أمس نسيت نوبات كربك التى طالما تعانيها، رأيتك عظيما . كن رجلا ، وثق بنفسك. حتى نتحرر من هذه الوحدة التى نعيشها، ويشفق علينا منها البعض، نتحرر من أجل عمل أعظم من مجرد أن نكون أسرة.

آنخيل : الصدق ، إوفيميا ، الصدق.

إوفيميا : أصدقك القول ، فلنخفف من شقاء الآخرين أفضل من أن نأتي للدنيا بأبناء ربما تشقيهم الحياة. أنت ما حققت شيئا أعزبا كنت أو أبا . ثق فى نفسك ... وفى.

آنخيل : وفيك ؟ أنت لا تثقين فى نفسك

إوفيميا : لن تملأ فراغ نفسك إلا بقضية كبرى ، قضية نبيلة.

آنخيل : سيزداد اتساعا...!

إوفيميا : لا!

آنخيل : فراغ النفس كالبحر ، كلما شربنا من مائه ازددنا عطشا. لا تطفأه إلا المياه الوديعة الساكنة التى تترقرق فى جدول ينساب خفيا بين الشجيرات. لا بد أن تصعد مياه البحر الهائج إلى السماء ، فتصير سحابا مطهرا ، ثم تسقط مطرا تغيضه الأرض...

المشهد الخامس

إوفيميا – آنخيل – مارتينا – فيليبى

مارتيتا : (تدخل) السيد فيليبى ...

آنخيل : (موجها الحديث إلى مارتينا) تعالى ، أتعرفين من كان «جراكو»

مارتينا : لا ، لا يا سيدى . السيد فيليبى ينتظر أن ...

آنخيل : دعيه يدخل (إلى إوفيميا) أعتقد أنه سيأتى يوم يجهل فيه الناس تماما من هو "جيراكو" .

إوفيميا : سأدعك مع صديقك ...

فيليبى : (يدخل حاملا كتابا فى يده) إوفيميا أتتركيننا ؟

إوفيميا : نعم ، فأنتما عاشقان فى حاجة لان ينفرد كل منكما بالآخر.

آنخيل : غيورة...

إوفيميا : (إلى آنخيل) ستثوب إلى رشدك يوما . وداعا فيليبى (تنصرف).

المشهد السادس

آنخيل و فيليبى ، بعد ذلك إوفيميا

آنخــــيل : حمدا لله ... من الأفضل أن يكون الإنسان وحده .

فـيليــبى : (يعطه الكتاب) هاهو، خذ واقرأ .. ستهون الكتب عليك آلامك .

آنخــــيل : إنها الداء فكيف تكون الدواء .

فـيليــبى : هدأ من روعك ، ولتجعل من أحزانك نبعا للتجدد اهرب من هذه الدنيا التى انزلقت إليها ، والتى ستنضب نبع حياتك الباطن . فلتخرج إلى الطبيعة ، الق نفسك فى أحضانها الرحبة ، اسكب روحك فى سكونها ، ثم لملم شتاتك و انتظر الله . وإذا كان عليك أن تفعل شيئا فاكتب هناك فى هدوء و بنقاء سريرة ما يلهمك به الله . أن تهب أرواح المعذبين بعضا من سلوى خير من أن توفر للجماهير البائسة حرية زائفة سرعان ما تصير عبودية .

آنخــــيل : كيف لى أن أهب للآخرين ما لم أهبه لنفسى؟

فـيليــبى : كيف ؟ ابحث عنها .

آنخــــيل : أبحث عنها ...! أبحث عنها ...! سأنشئها أدبا ... لا أقوم إلا بتمثيل دور ، أمضى الحياة متأملا نفسى ، صنعت من نفسى مسرحا ، ستذبل الطبيعة روحى ، لقد ولدت للناس

. التقدم هو التحرر من الطبيعة ...

فيليبى : و الهناء فى العودة لها ... لك أن تختار

آنخيل : أتعتقد أنها ستتركنى أرحل وحدى ؟

فيليبى : ارحل معها .

آنخيل : معها ؟ ستجد أسبابا....

فيليبى : أسباب العبودية.

آنخيل : وتاريخي ؟ سأتهم بالجبن .

فيليبى ": الجبن هو ألا يفعل الإنسان ما تمليه عليه ذاته ، إلا يمتثل لصوت ضميره .... أتهب نفسك لخلاص الآخرين ، بينما أنت فى حاجة لخلاص نفسك ؟ فليصلح كل نفسه فنصلح جميعا . طهر نظرتك ، فيطهر العالم فى عينيك . إذا تعففت أذناك ، فلن تسمع سفه القول . لا يهم .....

آنخيل : كفى ... كفى ، تود إغوائي . لا أدرى ماذا تفعل بي كلماتك ..

فيليبى : تسمع نفسك عندما تسمعنى ، فأنا من يملى عليك فكرك الباطن .

آنخيل : أنت تحطم أعصابى (ينهض و يتمشى) لا ، لا أريد الهروب . كل ما تعظنى به ليس إلا أنانية ....

فيليبى : حب أخيك كما تحب نفسك ، فإن لم تكن قادرا على حب نفسك فكيف لك أن تحب الآخرين ؟

آنخيل : كيف ؟ غريب على ذاتى ، وهبت نفسى لهم ، لقضية حرية

الشـعب ، تفـانيت و انكرت ذاتي . جسـدت هذه الأنانيـة المروعة أمامى شبح الموت وما يكمن خلفه من فراغ أبدى هائل . أنا ، لا شئ ، سأصير عدما، سأتيه بين الآخرين. سأجد السكينة المنشودة بالتخلى عما أنا فيه ... غير ذلك لست شيئا .

فـيليـبى : ليس أمرا سيئا أن تعى أنك لا شيء.

آنخـــيل : أنا أعي تماما أننى لا شئ، بيد أن غايتي أن أكون كل شئ ، كل شئ ، لأنعم بسكينة الكل . فـيليـبى ، أيهـا الصالح قل لى أين السكينة ؟

فـيليـبى : لا تدعوني الصالح .

آنخـــيل : لأنك بالفعل صـالح ، أهدانى إلى النور . فـالصـلاح قـوة عيون نافذة ، وليس لقلبي عينان ، فيليبى ، قلبي كـفيف لأنه أصم ... يرقد فى سبات عميق .

فـيليـبى : نبضه دليل على أنه لا يرقد فى سبات عميق ...

آنخـــيل : فى الأحــــلام ؛ ينبض بلا وقـع . لست أدرى إلى أين السبيل؟ أخبرني فيليبى أين السكينة ؟ أين ؟ تكلم ...

فـيليـبى : سأدعك لأنك عـصبى المزاج ، من اليسير أن نلتقى وقتا آخر ، أعتقد أنك ستبحث عنى.

آنخـــيل : لكن ، أتتركني هكذا ؟

فـيليـبى : ماذا تعنى بهكذا ؟

آنخـــيل : هكذا .... ، أقـصـد .... ، هكذا .... ، لا أدرى .... مـاذا

أتى بك ؟

فيليبى : لا ، لا شئ ، لا شئ ... لآتيك بالكتاب ...

آنخيل : لا بأس ، لكن جاء بك أمر ، لست غير رسول العناية الإلهية ، مبعوث الروح القدس ، ملَك من السماء ... ما جاء بك ؟

فيليبى : لا شئ ، قلت لك .

آنخيل : لن تخرج من هنا إلا إذا عرفت .

فيليبى : ماذا دهاك ، ألم تسمعنى ؟

آنخيل : (يعترض) لا ، لن تخرج إلا إذا أتممت مهمتك .

فيليبى : (يصمت ثم ينادى) إوفيميا .

آنخيل : آه أتناديها ؟ أتصر أن تتركني هكذا ؟ لك ما شئت ... صاحبتك السلامة

إوفيميا : (تدخل) ماذا جرى ؟

فيليبى : لا شئ ، لا يريد زوجك أن يدعنى أخرج ، فطلبت النجدة . إنه فى حاجة للراحة ، لقد أخرجه هذا الجمع اللعين من وعيه.

إوفيميا : أرى غير ذلك ، فهو فى حاجة إلى أكثر من جمع.

فيليبى : ربما ... ، لا عليك ، سأنصرف ، وداعا إوفيميا ، آنخيل ، تمنياتى بالشفاء.

آنخيل : فيليبى !

فيليبى : ماذا ؟

آنخـــيل : هكذا تذهب ؟

فـيليـبى : وداعا، آنخيل (ينصرف) .

المشهد السابع

آنخيل ، إوفيميا ، ثم العمة رامونا

إوفيـميـا : ماذا ؟

آنخـــيل : لا شئ ، أنت تعرفينه ، هذا دأبه (يتحدث بينما يتفحص وعاء القهوة ، يرى فيه قدرا منها فيصبه فنجانا و يهم بشربه .

إوفيـميـا : ملّك الشر.

(تسمع طرقا على الباب و صوتا يستأذن فى الدخول)

إوفيـميـا : ادخل (تدخل العمة رامونا ، يبدو على آنخيل لدى رؤيتها نفاد الصبر ، ماذا حدث ؟

العمة رامونا: الدينا ضيوف اليوم أيضا ؟

آنخـــيل : تنظر له إوفيميا كمن تنتظر ردا) لا ، على حد علمى .. لماذا؟

العمة رامونا: منذ أن صار شخصية هامة ، انقلب البيت رأسا على عقب ، دخول و خروج طوال اليوم ....

آنخـــيل : وماذا يعنيك ؟

إوفيميا : (إلى آنخيل) اسكت ودعها ، أنت تعرف طبيعة عمتي .

العمة رامونا: لا أدرى كيف يعتاد الإنسان رائحة الدخان (تشرع في جمع الفناجين و الأطباق الصغيرة و ما عداها من أكواب ، ثم تصلح من المائدة) .

آنخيل : لكن .. هذه بلاهة ....

العمة رامونا: فلتكن ما دام رأيك ، كم أفضل ذلك المنزل الصغير الهادئ في " تورًى بيبخا "

آنخيل : لو شئت ، هيأنا لك غرفة هناك ...

العمة رامونا: آه يا إوفيميا كم قلت لك أن زوجك ليس إلا أشواكا .

إوفيميا : إذن لا تقتربى منها .

العمة رامونا: لا أدرى لماذا يورط نفسه فى هذا اللجب ، لا سيما أنه لا أبناء لكم . ماذا يعود عليه من ذلك ، إذا كان له أن يعيش فى سكينة ...؟ إنه لا يجنى إلا الجحود و النكران . (تهم بأخذ الفنجان الذى صب فيه آنخيل القهوة) .

آنخيل : دعيه

العمة رامونا: سمعا و طاعة .

آنخيل : عليك تنظيف المائدة ، فهذا ما خلقتي له ...

العمة رامونا: احذر ، لست خادمه ؛ وإذ كنت أقوم بذلك فلأنني ...

آنخيل : نعم ، أعرف (يتناول ما بقى فى الفنجان من قهوة دفعة واحدة) خذي هذا الفنجان أيضا ، و آتني بكوب وزجاجة الماء ... والآن يا إوفيميا هيا نلعب الشطرنج .

العمة رامونا: يالا أسلوب زوجك المهذب فى طردى .....!

إوفيميا : تعرفين نزواته ...

العمة رامونا: يعلم الله ، إنما أتحمل هذا العناء من أجلك ، ومن أجل أمك المسكين ، رحمها الله ...

إوفيميا : يجب أن تغفرى له ...

العمة رامونا: يا للغمة ... !

المشهد الثامن

إوفيميا و آنخيل

إوفيميا : لن يصلح حالك أبدا ...

آنخيل : ماذا تريدين ؟ لا أطيق هؤلاء العامة ...

إوفيميا : (بينما تأتى برقعة الشطرنج و يشرعان فى ترتيب قطعه) هذا لا يعنى أنك لا تتغنى دائما نشيد التواضع ، و يعلو شفتيك دائما الحديث عن حب المساكين .. لماذا تثير دائما هذه العجوز المسكين ؟ يا لجمال التواضع قولا . تقول ، لكن أن تعمل بما تقول ، أن تحسه ...

آنخيل : البساطة شئ ، والحماقة شيء آخر. أما يكون الإنسان أحمقا لحد البلاهة .....

إوفيميا : كفاك لغطا .

آنخيل : (يشير إلى رقعة الشطرنج) أبدأ ...

إوفيميا : سأبدأ بهذه النقلة التى لا تعجبك ..

آنخيل : لا ، لا تعجبنى ، ليس هناك خير من البداية التقليدية الدارجة .

إوفيميا : بالضبط ، نقلة العامة ...

آنخيل : بل ما برهنت عليه التجربة

إوفيميا : ستخسر بذلك الحصان .

آنخيل : لا بأس ، عندما أعرض نفسى لخسارة شئ فإنما لأفوز بما هو خير منه...

إوفيميا : لا دليل على ذلك ، وأرى أنك تلعب اليوم أسوأ ما لعبت فى حياتك ...

آنخيل : حقا ، غُلقت أمامي الأبواب . أعتقد أن اهتمامنا الشديد بلعبة الحياة شبيه إلى حد بعيد بهذه اللعبة ... نبذل الجهد الجهيد فى الحيلولة دون موت " الملك " ، أو قتل " الملك " وهما ليسا إلا قطعة من الخشب المشغول . ثم تفوز فى نهاية اللعبة القطع البيضاء أو السوداء ، فتلقى جميعها دون تمييز فى صندوق واحد حتى تبدأ اللعبة من جديد . ما الغاية من ذلك ؟ أن نلهو .. نقتل الزمن ، ألسنا نقتل نحن معشر البشر خلود أبدية الكائن الأعظم الذى يلعب معنا ؟ " كش ملك " صدقينى يا إوفيميا فالكل لعبة ... لقد خسرت " الطابية " (يتناول جرعة ماء ، ثم يملأ الكأس)

إوفيميا : اللعبة أنت .

آنخيل : من يدرى إذا كان لهذه القطع ضمير حى، إذا كانت تعتقد أنها حرة ترى العناية الإلهية فى حركتها ؟

إوفيميا : " كش " ألهاك هذيانك عن الانتباه للعب ..

آنخيل : ماذا يهم ؟ آه ، هذه حركة خطيرة ، أستسلم بها و تفوزين أنت .

(يسمع صوت بيانو الجار)

إوفيميا : ها قد بدأ الجار موسيقاه !

آنخيل : صه (يصغي السمع لحظة) عالم من الانسجام الخالص أصوات بلا كلمات ، حرية مطلقة ، يهيم فيها الروح متحرر من الأشياء ، أسمعي تتناسق و تتجانس و تتوحد الألحان بخلوصها من الكلمات ... لا تقول شيئا ، و بصمتها عن القول ، تقول كل شئ ...

إوفيميا : تشعرني بالنعاس .

آنخيل : تشعرك بالنعاس ؟ لماذا لا تكوني يا عزيزتي لحنا نقيا ، خالصا ، بلا حروف ...

أوفيميا : اخرج ... اذهب إلى الملاهي ، أنغمس فى الناس.

آنخيل : تعالى هنا ، فلنتحدث روحا لروح (بينما تتواصل الموسيقى ، يصحب زوجته إلى أريكة يجلسها بالقرب منه ، وجها لوجه ، يمسك يديها) هكذا أمامي ، انظري إلى عيني ... هكذا ... هكذا ، أهدأ

إوفيميا : إنك تخيفني ، لا أعرف كيف أنت ...؟

آنخيل : و لا أنا ... ماذا يهم ؟

إوفيميا : ماذا جرى لك ؟

آنخيل : آه ، تهدج صوتك ، نأت عيناك عن عيني ... دعي الأرواح تتواصل .. انظري فى عيني ... لا تنتظرينني.

إوفيميا : بالله عليك ... إنك ...

آنخيل : اصمتى ، وسمعي ، المجد ؟ لماذا تشتهين المجد ؟ لماذا

تريدين أن يطفو فوق موجات النسيان اسمك عالقا فى مياه التاريخ بأسمى ؟

إوفيميا : آنخيل !

آنخيل : نعم ، دفعت بك هواجس المجد إلى ذراعي ... المجد المجد ... لن تسمع آذاننا يسدها طين الأرض أو ترابا تصبر ما يقوله عنا الآخرون ، و هاتان العينان ، عيناك اللتان تشبثت بنياط قلبي ... ستصير فى النهاية عدما ، و...

إوفيميا : كفاك ... أنك تؤذني و تؤذى نفسك ...لست خطيب الأمس ، أنت آخر ... تملكك روح شرير .

آنخيل : لم ترين أمك ، رباك أبوك الذى خرب عدم اكتراثه بك روحك.

إوفيميا : نعم ، أنا لست أنت ، فقد جبلت أنت على غير الآخرين ....

آنخيل : لقد تبلدت روحك ، و صرت فريسة هواجس المجد ، لا ترين إلا ما يرى ... ، فأنت ، قصارى القول، امرأة ... و أنت ، رجل ، ترى ما لا يُرى ؟

أجتهد أن أكونه ... حتى تتدفق فى العين الروحية .

إوفيميا : لا تهذ.

آنخـــيل : هذيان ، ما تقولين ؟ امرأة كعهدك دائما !

إوفيميا : أصمت ، إنك تخيفني . لا أعرف كيف أنت ...

(يتوقف البيانو عن العزف)

آنخـــيل : إنما أعرف أنا كيف أنت . أعرف أنك تشتهين أن يرتبط أسمك باسم خالد ، طالما لن تخلدي فى أبناء من لحم و عظم ،...

إوفيميا : آنخيل

آنخـــيل : آه ... تغيرت نبرتك ، نأت عيناك عن عيني .. ، حسن أدرك أنك فى أعماقك تلقين التبعة على فى عقم ارتباطنا ... لا .. لا تجزعي ... اهدائى عزيزتي ، تعتقدين أننى بتركيز كل طاقتى الحيوية فى الفكر عجزت أن أجعل منك أما ، أجلسى (يمنعها من القيام) تطلبين منى مجدا عوضا عن الأبناء ابكى .. نعم ... ابكى. إوفيميا تعالى هنا ... سامحيني ...

إوفيميا : أنت إنسان شرير ...

آنخـــيل : لا أريد منك إلا أن تملأ بالسكينة حياتي ... أن تغنين لى أغنية المهد ... أنت لا تعلمين كم أعاني ...

إوفيميا : ولا تعلم أنت كم تجعلنى أعانى .

آنخـــيل : لكى تبرئين ، بيد أنك لا تحلمين إلا بالمجد، و إن لم أكن

سبيلك إليه فلن تكفى عن البحث ...

إوفيميا : (تنهض غاضبة) وحش ، .. مجنون ...

آنخيل : لكن .. إوفيميا ...

إوفيميا : إوفيميا ليست قطعة شطرنج (تنصرف) .

المشهد التاسع

آنخيل وحده

وحش ...وحش أنا ... نعم وحش تتشبث حيوانيتي بالحياة . إلهي ؛ لماذا لا تجسدك روحي بقوة الإيمان بك ؟ أود أن أكون ذليلا لك ، أن أكون كالبسطاء ، أن أصلى بتلقائية كما يصلى الأطفال .. هبنى القوة يا إلهي كي أؤمن بك ؛ هبني القوة أن أنكر نفسي لأنعم بالسلام. هبني القوة أن أجثو على ركبتي لتطفو على شفتي صلوات الطفولة .... (يتفحص المكان حوله لينظر إذا ما كان هناك من يراه ، يهم بالركوع ، بيد أنه يتراجع فزعا، يقترب من الباب كمن سمع صوتا ما) لا ، لا تواتيني القدرة على الإيمان ، لا تردني ....، الخشوع يا آنخيل ،الخنوع (يحاول الركوع من جديد ، ينحني ، بيد أنه يتظاهر كما لو كان يلتقط شيئا من الأرض) إلهي (ينهض و يتجه

إلى الباب) محال ، أعتقد أنى لست سويا ... (يضع كرسيا بجوار المكتب فى الاتجاه المعاكس للباب ، ثم يركع) كم كان يسير عليّ ذلك عندما كنت طفلا : أبانا الذى فى .....

(ينهض فزعا على صوت طرقات على الباب ، يتجه ليفتح ، تدخل مارتينا الخادمة تقدم له رسالة و تتهيأ للخروج)

المشهد العاشر

آنخيل و مارتينا

آنخيل : انتظرى (يلقى نظرة على الرسالة) خبريني ، كيف تصلين ؟

مارتينا : سيدى ... ماذا تعنى ؟

آنخيل : ماذا تقولين لله ؟

ماتينا : لله ؟

آنخيل : (هامسا) يتواصلان بلا كلمات (يوجه الحديث إلى مارتينا) لمن تصلين ؟

ما تينا : (تهز كتفيها) لا أعرف إلا ما علمه لى أبى و القس ...

آنخيل : أتخافين الموت ؟

مارتينا : سيدى ! ... لست مريضة .

آنخــــيل : وإذا مت ؟

مــارتـينـا : سأموت يوما ما .

آنخــــيل : ألك خطيب ؟

مــارتـينـا : (فى استحياء) يقولون ... سيدى، أنك .... ، أنك ... أن بك ... قليل من ...

آنخــــيل : قليل من جنون ، أليس كذلك ؟

مــارتـينـا : لا ، لا ما قصدت هذا .

آنخــــيل : لا عليك ، فليكن لك خطيب ، تزوجى ، وربي أبناءك ، عيشى دائما هكذا ، فى سلام يشملك فضل الله ، صلى كما علموك ، لا تفكرى فيما تصلين ، ثم موتى كما يموت الناس .... ، موتى كما يجب أن يموت الإنسان .

مــارتـينـا : عندما يشاء الله ذلك ... ، أبيدنا شئ ؟

آنخــــيل : حقا ليس بيدنا شئ أمام إرادة الله . أنت لا يهمك ما تتركين من ذكرى .... أتعرفين القراءة ؟

مــارتـينـا : أقرأ تعاليم الدين فقط .

أنخــــيل : هذا ما يحدث لنا جميعا .

مــارتـينـا : أتريد شيئا آخر يا سيدى ؟

آنخــــيل : تسألين إذا كنت أريد شيئا آخر ؟ ما أريده كثير ... ، كثير ، لا أدرى ماذا أريد ... اذهبى ولا تنسى أن تصلى من أجلى ... (تنصرف مارتينا)

المشهد الحادى عشر

آنخيل لوحده

(يتـفـحص الرسـالة) يجب ألا أذهب إلى هذا الموعـد . سـألفظ إلى الأبد هذه الحـيـاة التى صـارت لى مـوتا . سأودع إلى الأبد هذا العالم ، سأحرق سفائنى. التنحى . (يجلس إلى المكتب ، يتهيأ للكتابة) استقالة لا رجعة فيها ، هذا موقف ، موقف حقيقي ، كما يقولون ، شئ يحول دون عودتي للحـيـاة العـامـة ، حـيث يغـفـر كل شئ إلا الاعتراف بالذنوب .... (يتهيأ للكتابة فى ذات الوقت الذى يسمع فيه طرقا على الباب) أدخل (يدخل خـواكين ، يقول له آنخيل دون أن يتوقف عن الكتابة)

آنخـــيـل : أعدت ؟ انتظر قليلا.

المشهد الثانى عشر

آنخيل و خواكين

خـواكين : (هامسا) علينا ألا نترك الحبل على الغارب لمجموعة مورينو و إلا صارت فوضى . لو كان هذا آخر ... لكن ...

آنخيل : (دون أن يتوقف عن الكتابة) تكلم.

خواكين : نعم عدت ... التقيت بالبعض ، و رأيت من واجبى أن أحذرك، هناك مؤامرة تحاك ضدك .

آنخيل : ضدى (يواصل الكتابة) .

خواكين : نعم ، ضدك ، و عليك غدا فى الجلسة الختامية للقيادة الثورية أن تحبط خططهم .... فهناك اتجاه لتنحيتك عن الزعامة ...

آنخيل : (ينهى الخطاب) ألديك أكثر من ذلك ؟

خواكين : أيبدو ذلك هينا ؟ أتفق مورينو و الجنرال على الإطاحة بك.

آنخيل : حركة مباركة

خواكين : كفى هزلا، سأعرض عليك تفاصيل الخطة.

آنخيل : لا ، لا تعرض على شيئا ، لا يهمنى الأمر، هذه اللعبة التى تسمونها سياسة ليست إلا سخافات بائسة، لعبتكم هذه تتطلب رؤية عملية، أو واقعية ، أسميها أنا مظهرية ، وقد قررت، ربما لأنه تعوزني هذه الرؤية، ذلك عدم المشاركة فيها. و لـ "مورينـــــــو" و الجنرال أن يفعلا ما يحلو لهما . مات من الآن فصاعدا الدنيا لدى ، أريد أن أكون حرا ، الحرية ... الحرية .

خواكين : لكن ، أجننت ؟

آنخيل : أتهيأ لذلك .

خواكين : لكن أسمع ...

آنخيل : لا أسمع .

خواكين : أتتخلى عن مستقبلك بهذه الطريقة ؟

آنخيل : عن ماذا ؟

خواكين : عن مستقبلك.

آنخيل : لكننى أسألك، عن ماذا ، عن أى مستقبل ؟

خواكين : مازلت تتمسك بنفس الفكرة ، إما أن تقضى عليها أو تقضى عليك .

آنخيل : نعم ستقضى على .

خواكين يا إلهى ... ، أطوارك غريبة ... ربما تستريح إذا نمت .

آنخيل : أنام ، نعم إذا نمت نومتى الأخيرة ، نومة بلا يقظة . أترى هذه الرسالة ؟ إنها تحمل استقالتي من هذا الدنيا ... من العالم .

خواكين : (يحاول انتزاع الرسالة منه) فلتكن جادا .

آنخيل : (يتشبث بالرسالة) ألا تبشر بالحرية ؟

خواكين : (يكرر المحاولة) أعلىّ أن أعاملك معاملة الأطفال ؟

آنخيل : خواكين ... (يتنازعان الرسالة) .

خواكين : تعقل .

آنخيل : تلجأ إلى القوة ... يعيش التقدم !

خواكين : كفاك مواقف صبيانية ... أعطنيها .

آنخيل : لا ، ألم تسمع ؟ سببى الأسمى هو أننى لا أريد .

خواكين : تلعب دائما دور الطفل سيئ التربية .

آنخيل : لا أريد ، لا أريد ، لا أريد .

خواكين : مستبد.

آنخيل : لا أريد .... لا أريد .

خواكين : أهذا كل ما تعرف .... لا أريد .

آنخيل : خواكين ، انصرف من فضلك .

خواكين : لن أذهب قبل أن تعدني أنك لن تبعث هذه الرسالة ، على الأقل حتى نلتقي غدا .

آنخيل : ومن أنت لتطالبني بوعد ؟ أأنا أم أنت المسئول عني؟ تبشرون بالتسامح ، و الصدق و الحرية ، لكن عندما يتشوق إنسان ما أن يكون حرا صادقا ينقلب الجميع ضده ، و عندئذ تتخذ المواقف الغريبة ، و الآراء العبثية و التصرفات الحمقاء .وإذا بدأ جادا طريق خلاصه ... تودون جميعا وأده ، والتشهير به ، والوقوف في طريقه . تلقون عليه باللوم . الحرية هي ما أريد ؛ حرية أن أكون كما أشعر بنفسي في داخلي ... حرية، حرية حق .

خواكين : فكر جيدا فيما تفعل و إلا جلبت لنفسك المصائب .

آنخيل : هذا ما أنا في حاجة إليه، المصائب و الآلام و الاحتقار ، فربما سكن الألم الذي يعتري روحي ، و الأسف على نفسي ... خواكين ... اغفر لي إذا كنت قد أخطأت في حقك ...، أنت تعرفني .

خواكين : لنا في ذلك حديث ... لكن هذه الرسالة ....

آنخـيل : دعك من الرسالة .

خـواكين : سأعود غدا بعد أن تكون قد استرحت ، وداعا (هامسا) لن يبعثها .

آنخـيل : وداعا .(ينصرف خواكين)

المشهد الثالث عشر

آنخـيل : لا أريد . لا ، لا أريد (بصوت مرتفع) ، فلأطرق الحديد ساخنا ! يجب إلا يتسلط على الشيطان مرة أخرى ! تدخل مارتينا) مارتينا ، تعالى هنا ، خذي هذه الرسالة ، اذهبي بها إلى منزل مورينو ؛ تعرفين أين يعيش .

مـارتينا : أأنتظر ردا ؟

آنخـيل : لا ، لا شئ . خذى الرسالة و اذهبى بها . (يتردد برهة) اسألى عن مورينو ، أعطها له فى يده .... اسمعتنى ؟ بل أعطها لمن ترينه هناك ... هيا خذيها و اذهبى فى الحال ..الآن .. الآن . (تنصرف مارتينا)

مـارتينا : (تعود) أقلت شيئا يا سيدى ؟

آنخـيل : لا ، لا ، انصرفي ! لا أريد شيئا (تخرج مارتينا) قضى الأمر، ليس لى أن أندم (يتمشى مطأطأ الرأس) لأهنأ الآن بانطوائى ، و أوقظ لقلبى ، و عندما يمسه الروح القدس الذى ينفخ حيث شاء ، سأعزف لحنى نقيا طاهرا .

لحنى أنا حتى ينطلق فى خضم السيمفونية الأبدية ، فى غمرة أنشودة الحب الكونى يمجد أبانا . (يمر أثناء تجواله فى الغرفة أمام المرآة و عندما يقترب منها مطأطأ الرأس يلمح صورته فيها خيالا غريبا عليه ، يتوقف أمامها فزعا . يرفع رأسه إلى المرآة يتأملها برهة . يقترب منها، و عندما يقف أمام صورته ينادى نفسه بصوت هامس) آنخيل ، آنخيل(يتوقف لحظة ثم يمسح بيده على جبهته كما لو كان يطرد عن رأسه كابوسا ، يتحشرج ، ينظر إلى نفسه خجلا قائلا) خيال؟ لا ، لا... أنا حي ... أعيش (يشعر فجأة بضربات قلبه ، يئنّ ، يضع يده على صدره ، قائلا) مسكين ، كم تعمل بلا هوادة. تسهر بينما (يمسح جبهته بيده) ينام هذا، وإذا أكتنفه خطر أيقظته بخفقانك . ليس فى صدرى متسع لك ، مسكين أنت ، تريد أن تخفق فى كل شئ ومع كل شئ ، أن تنبض مع الكون كله ، تتلقى من و تبعث له حيويته ، تلك التى تتدفق من عوالم بلا نهاية واليها معادها . بشوقك هذا تخنقنى ... ، نعم... تخنقنى (يتجه إلى المكتب يصب الماء فى كوب ، يرفعه و يتناوله فى جرعة واحدة ، يصب ما بقى من الماء فى كف يده و يبلل به جبهته) من قادر على أن يرتشف هكذا روح الكون ! إلهي أمتني ، امتني ، لأشعر بحياتي تسيل بين أحضانك .

(يسدل الستار)

الفصل الثانى

(فى غرفة أخرى من منزل آنخيل . صورة امرأة)

المشهد الأول

إوفيميا ، العمة رامونا ، ثم آنخيل

العمة رامونا: رغم أنه يبدو اليوم أكثر هدوءا، إلا أننى مازلت أعتقد أن زوجك ليس سليم العـــقل ، هذا واضـح . أراد أن يملأه بأشـيـاء كـثـيـرة ... قـراءة ، قـراءة ، و قـراءة ... و هو مـا يصيب أى إنسان بالجنون.

اوفـيـمـيـا : مرضه ليس من القراءة .

العمة رامونا: لو عاشت أمك المسكينة و رأتك زوجة هذا الـ...

اوفـيـمـيـا : لا مبرر يا عمتى لهذا العداء ، قد يبدو فظا ، غير أنه فى أعماقه إنسان حنون.

العمة رامونا: ربما فى أعماق أعماقه حتى أنه لا يبين، كلنا فى أعماقنا طيبون .

إوفـيـمـيـا : إنه يقدرك ...

العمة رامونا: أنا ؟ كما يقدر فـأرا لا ريب فى ذلك ، لن يعود على تقديره لى بشىء، لن يتغير ولو بعد مائة عام ، لن يكون أكثر من ...

إوفيـميـا : حمدا الله أنه لم يسمعك ...

العمة رامونا: حتى لو سمعني ، خير أن يكون للإنسان تطلعات كبيرة ، كبيرة جدا ، بيد أننا نحن الآخرين بشر .

إوفيـميا : إنه كثير الشرود .

العمة رامونا: عليه ألا ينفصل عن الواقع ، فلقد خلقنا لنعايشه .

آنخـــيل : (يدخل) تغتابونني، أليس كذلك؟ (وقفة) لك الحق يا سيدتي لست إلا خنزيرا. لم أعاملك إلا بازدراء فج ... كنت فظا ، بيد أننا مدينون لك ... سامحيني ، و أعدك أن أصلح من نفسي ، اغفري لي بالله عليك .

العمة رامونا: مسكين ، لم يجانب إوفيميا الصواب عندما قالت أنك طيب في أعماقك ... آه لو كانت شقيقتي حية ... !

آنخـــيل : هذا المنزل في حاجة لك ، فأنت من تديرين شئونه ، تهتمين بهذه التفاصيل الصغيرة الكثيرة التي تؤلف نسيج الحياة اليومية .. أرجوك .. لا تهجريننا، فلتعيشي معنا ،حذريني كلما تجاوزت حدودي معك .. عامليني كطفل .

العمة رامونا: سيدي ،آنخيل ، بالله عليك...

آنخـــيل : سيدك ؟

إوفيـميـا : حمدا الله أن انتهت الأمور على خير .

العمة رامونا: سأنصرف حتى لا يتمزق قلبي ... إوفيميا، كان الله في عون زوجك. (تنصرف)

المشهد الثانى

إوفيميا – آنخيل

إوفيـميـا : لا أدرى ، صدقنى ، كيف أصف فعلتك . أنت بلا طموح .. لست رجلا .

آنخــيـل : من الواضح أنى لست ما تبحثين عنه . أما أنت فلست ... ، أقصد أنك ، نعم ، امرأة ...

إوفيـميـا : أتتخلى عن مستقبلك بهذه الطريق ...

آنخــيـل : لا ،أتخلى عن الماضى ، من أجل المستقبل.

إوفيـميـا : انظر يا عزيزى ، مازال أمامك وقت لتصلح ما أفسدت، وتحقق إنطلاقة قوية . من اللياقة أن تضع نفسك روحا وجسدا فى خدمة قضية الحرية و الشعب .

آنخــيـل : اللياقة ... الحرية ... الشعب ... كم تعجبك " الكلمات المتقاطعة " .

إوفيـميـا : أنت فى حاجة إلى فترة من الراحة ... أترغب فى أن نقوم برحلة ؟

آنخــيـل : (هامسا) تراني مجنونا (يوجه لها الحديث) لا ، يجب أن أبقى هنا ، انتظارا لما تسفر عنه الأحداث . من يدرى ما تأتى به استقالتى ...هذه الثورة السعيدة فى حاجة لما يعضدها ..!

إوفيـمـيـا : ماذا تعنى بذلك ؟

آنخــــيـل : كنت أتوقع مـوقـفك، لأنى أعـرفك جـيـدا . أنت لا تعنيك الحـرية ولا الشـعب .. لا تتـشـوقين فـقط إلى أن يخلدنا التـاريخ بأى ثمن، بل أن تكونى شخصية مرموقة مادمت حية ، أن يكون لك سلطة .. أن تدور الأشياء فى فلكك .. ! أن تكونى امــرأة الزعـيم .. لك الحق ... الحــيــاة ... السلطة .. الطاقـة .. الحـيـاة .. الحـيـاة .. الحـيـاة بقـدر الاستطاعة .

إوفيـمـيـا : ويحك ! أنهـا تحـولات مــجنون مــسكين . أدرك أنك و إوسيبيو،

آنخــــيـل : صديقك تعملان على أن أبرأ مما أصابنى .

(تقف غاضبة عندما تسمع " إوسيبيو صديقك ") آنخيل

إوفيـمـيـا : ، سـأدعك ، فـأنت تتصنع الجنون لتـعذبنى بهـذا الازدراء الذى طـالمـا عـاملتنى به لمجـرد كـونى امـرأة ... فـزوجـة العبقرى، فى رأيك، يجب أن تكون له لعبة لا أكثر .. أليس كذلك ؟ لعبـة تفـرغ فـيـهـا كبـريائك المجروح .. لست فى عينيك إلا وعاء يفرغ فيه إنسانك المتفرد غريزته الحيوانية .. هكذا أنتم أيها الرجال ....

إوفيميا ... و لكن ..

آنخــــيـل : إوفـيـمـيـا إنسـان مـثلك. أقنعـتنى من زمن أننى، على حد

إوفيـمـيـا : قولك لست لك غاية بل وسيلة ، لا غـاية لك إلا أنت نفسك.

فلتعلم يا عزيزى أن كل ما تعانيه ليس إلا إفراط فى الكبرياء، عجرفة ذكر، ليست إلا أنانية حيوانية ، سيطرت عليك عبادة الذات التى طالما أنكرتها على الآخرين. تشعر أن العالم سيفنى بفنائك، لأنك تعيش لا تملأك إلا نفسك، لذلك فالموت يعنى لك العدم...

آنخـــيل : (منكس الرأس) كفاك ... كفاك رحمة بى، لا تتحدثى عما لا تفهمين ...

إوفيميا : طبعا ، أنا امرأة جهول ، لا تعى ما تعيه أنت . لا أستطيع

آنخـــيل : أن أبلغ شأنك ... ها هو نتيجة زواج النسر من الدجاجة ..

إوفيميا : كفاك ، لا تؤذينى بـ ..

آنخـــيل : صدمة الحقيقة.

كفاك لا تعذبينى أكثر من ذلك .. بالله عليك تعالى .. تعالى و اشفنى .. لك الحق فى كل ما تقولين .. تعالى و عانقينى .. لا تخافيننى .. هيا بنا .. لنخرج من هنا إلى الطبيعة ، إلى الوحدة ، هناك ستدللينى كطفل، فلنرى إذا كنت تستطيعين أن تعيدى لى الطفولة .

إوفيميا : هكذا ... لست إلا أداة لك ..

إوفيميا : أستحلفك بالله .. فلتأخذك بى شفقة .

(تتملك نفسها بعد أن تمسح خلسة دموع عينها) ألم أكن رحيمة معك ؟ أعرف حيلك ، تصير بعد المسكنة والحنان أكثر طغيانا من ذى قبل .. أتيت .. ، نعم أتيت

لهذا البيت .. بيتك بحلم، و أنت .. ماذا فعلت ؟ يبدو لك أنك أتيت شيئا عظيما بتخليك عن طيب السمعة و ازدرائك للمجد .. تتطلع إلى ما هو أكبر من ذلك ، إلى صومعة يطوف بها الساذجون ، المسبحون باسمك على مر الأجيال ، وترفض احتفاء الجماهير بك فى هذا الهيكل العظيم ، أفهمك .. أنت عبقرى لا يفهمك أحد ، تتعالى على العامة ، صعب المنال على امرأة متواضعة تتعلق بالحاضر الفانى ..

آنخـــيل : (ينهض فى هدوء) ليس هذا إلا كلام إوسيبيو لك ، هذا المخنث، أو كما يقال ...

إوفيميا : لن ينفعك هذا السلاح .. هذا الهذيان .

آنخـــيل : قلبك هو الذى يهذى ..

إوفيميا : كما تدين تدان ...

آنخـــيل : (يتمشى) أعرض عليك السلام و تعرضين عنه .

تريدنى مخدرا يخفف عنك بترانيم المهد سهدك ، تريدنى لعبة، يا للطفل ! ..

آنخـــيل : ماذا تعرفين عن الطفولة ؟ لقد نشأت بلا أم ، خلق منك أبوك زنديقة طموحه ، بيد أنك، وأن كنت لا تدركين ، تهفو نفسك للإيمان.

إوفيميا : أنا ؟

آنخـــيل : نعم ، أنت ، أنت .

إوفيميا : آمنت بك عندما تزوجتك ... لكنى كفرت بك .

آنخيل : صه .. إليك عنى .. إليك عنى .. دعينى فى سلام (يسد أذنيه) .

إوفيميا : (تسمع طرقا على الباب) ادخل .

مارتينا : (تدخل) السيد إوسيبيو ..

آنخيل : هيا .. اذهبى .. قابليه .. فرجا عن نفسيكما معا .

إوفيميا : حقير !

آنخيل : هو .. هو من سيجعلك شهيرة ، حتى ولو لأيام ..

إوفيميا : (بصوت مخنوق) آنخيل .. آنخيل ... (تقترب منه ، تراه متداعيا) لماذا تتلاعب هكذا بأكثر الأشياء قدسية (يدخل إوسيبيو .... يقف مترقبا)

آنخيل : قدسية ... قدسية ... إذا كنا سنؤول ، أنا وأنت فى نهاية المطاف إلى تراب إلى مجرد أسماء ، ماذا يعنى هذا ... قدسية ؟

إوفيميا : مسكين .

آنخيل : مجنون ... أليس كذلك ؟ ... هاهو (يشير إلى إسيبيو) .

المشهد الثالث

إوفيميا ، آنخيل ، إوسيبيو

إوسيبيو : صباح الخير ، ماذا يقول هذا العصابى .

آنخيل : ال .. ع .. صا .. بى ! يا لا ما يأتى به العلم ، أتريد أن أخرج لك لسانى؟ ، ربما كنت أرنبا من أرانب التجارب .. هوس .. ، من أى نوع .. خبل .. التهاب فى الأطراف العصبية ، .. أعصاب الحس .. تهيج .. لستم إلا حمقى .

إوسيبيو : (ساخرا) فلتهتم بكبدك . إنى على قناعة بأن كل ما يحدث لك ليس إلا نتيجة خلل ما فى وظائف الكبد .

آنخيل : لا شك فى أن مصدر هذه القناعة هو زيادة فى نسبة الدهون الروحية ، اسمع .. فلتنظر ضغط دم زوجتى .. فهى تعانى من هوس العظمة .. و الهذيان الناجم عن الشعور بالاضطهاد . و لكما أن تستعيدا أثناء ذلك ذكريات حبكم القديم ..

إوفيميا : أرى أنك تسعد بادعائك الجنون .

إوسبيو : إنها لعبة خطرة ، لأن أخطر أنواع الجنون هو التظاهر به .

آنخيل : حقا ؟

إوسيبيو : أكثر من حق . قد يحين الوقت الذى يكون علاجه الوحيد " قميص الجنون " .

آنخيل : أحمد الله أنك فرجت عن نفسك ؛ فليس هناك أسوأ من كظم الحقد الذى لا يؤدى ألا إلى تسميم المشاعر ومرارة الروح . إنى على يقين من أن قتلة أحبوا ضحاياهم بعد أن أفرغوا فيهم كرههم .

إوسيبيو : من يعي أبعاد حالتك يحتملك كما أحتملك أنا .

إوفيميا : " إوسيبيو !

إوسيبيو : لا تخش شيئا . لقد كنت دائما إنسانا ضعيفا ، بلا إرادة و لا قيمة ، ليس لك إلا ذكاء واهن . أنت جبان. أنك تتقمص هذا الدور لكى تقئ ما بداخلك من عفن .. أنت مريض .. مريض بالكبرياء ... إنه مرض تعيس .

آنخيل : (يتوقف) إوسيبيو .. لا أريد ألا سلاما ، و باسم هذا السلام أناشدك أن تدعنى إلى الأبد ، أن تغادر هذا المنزل وألا تطأه قدماك مرة أخرى . فلتودع زوجتى فى هدوء ، فلتضمها كيفما شئت ، فلتتحدثان كما يحلوا لكما . سأدعكما وحدكما (ينصرف) .

إوفيميا : (تناديه) آنخيل ... آنخيل .

المشهد الرابع

(تتبادل إوفيميا و إوسيبيو النظر فى صمت)

إوسيبيو : أرأيت مثل هذا ؟

إوفيميا : يزداد على غموضا يوما وراء آخر ؟

إوسيبيو : (كما لو كان يحادث نفسه) جنون الكبرياء و الأنانية ..

إوفيميا : لا تتحدث عنه بسوء ، أتوسل إليك . فكر فيما أنجز .

إوسيبيو : نعم .. إنجازاته برهان على ما أقول .

إوفيميا : أكرر ... لا تتحدث عنه هكذا .

إوسيبيو : هذا نتيجة عدم انصياعك لقلبك . تزوجتيه زهوا .. ، عطشا للمجد .. ، انظرى...

إوفيميا : لو أدركت ما يعانى ...

إوسيبيو : ما تعانيه أنت بسببه .

إوفيميا : لا يهم !

إوسيبيو : لم تخلقى للتضحية بنفسك . لم يخدعنى ، لقد توقعت فشله ..

إوفيميا : للحاسد أفضل عيون .

إوسيبيو : (يتفقد المكان بعينيه ، يقترب قلقا من إوفيميا ، يخفض من صوته) يبدو محالا أنك ، من تعرفينى ... ، من أحببتنى .. ، من تحبيننى ...

إوفيميا : (تبتعد) لست فى حاجة إلى الحيطة والحذر . تحدث بوضوح و بصوت مسموع. أنت لا تعرفه . و الأفضل أن تنصرف وتدعنى .

إوسيبيو : ضحية الأعراف ... عبدة الدنيا ... قول زوجك!؟!

إوفيميا : خير لى هذه العبودية من ..

إوسيبيو : إننى على يقين من أنه ستضطرين فى نهاية الأمر إلى هجره ..

إوفيميا : (بحماس) ربما ، لكى أبقى وحدى .

إوسيبيو : وحدك ... ، وحد.... الوحدة خير ناصح .

إوفيميا : فلتذهب أيها الشيطان ..

إوسيبيو : تأثرت به .. هذا ليس فكرك .. بل فكره ، بصمته ..

إوفيميا : أتعتقد أني غير قادرة على التعبير عن ذاتى ؟

إوسيبيو : هذه إوفيميا حبيبتى .

إوفيميا : حبيبتك؟ لست ملكا لأحد، إلا لنفسى، و له!

إوسيبيو : لقد أصابتك العدوى .. أشفق عليك .

إوفيميا :؛ كفى ! أنت فى منزله ... فلننهى هذا الحديث .. أملديك من جديد ؟

إوسيبيو : لن أراك مرة أخرى ، على الأقل ، طالما كان هذا حيا . لا تهجريه إذا كان بك عليه بعض من شفقة ، غير أنى أشك فى قدرتك على ...

إوفيميا : كفى .... وداعا .

إوسيبيو : (يمد لها يده) للمرة الأخيرة .

إوفيميا : (تنكر عليه يدها) لا !

إوسيبيو : أترفضين حتى مصافحتى ؟

إوفيميا : أرفض .

إوسيبيو : إذ .. وداعا (يتوقف عند الباب فاتحا ذراعيه) ستأتيهما

يوما (ينصرف) .

المشهد الخامس

(إوفيميا وحدها)

إوفيميا : أأخطأت طريقى ؟ يحقق الحلم ، و يحلم بالواقع . آه لو استطعت أن أجعل منه آخر ... لست له إلا أداة ... لا ... ، لا ... ، يحبنى ، نعم يحبنى ! أى روح روحه ! به ما يبهرنى ، إنه لغز حى . على أن أبذل محاولتى الأخيرة كى أخلصه، إنـــــه صنيعى، مسكين ... هاهو آت .

المشهد السادس

آنخيل : (يدخل) أأنتهيتم من تسوية حساباتكم ؟ الأمور واضحة كما أحب أن تكون . والآن علينا تسوية ما بيننا ، فلا يمكن أن أعيش هكذا .

إوفيميا : الأمر يتوقف عليك .

آنخيل : يتوقف على ؟ اجلسى و اسمعى لى بهدوء. (يجلسان) تعوزك روح الأمومة ..

إوفيميا : (تنهض) بداية طيبة !

آنخيل : أجلسي و اسمعي .... نعم ، تفتقرين ..

إوفيميا : (تهم بالانصراف) بهذه الطريقة ...

آنخيل : (يحول دون خروجها) لو لم تعوزك لدفعك حنانها إلى الإيمان ، فالإيمان يخلق...

إوفيميا : لكن ... آنخيل ، بالله عليك ... (تجلس مستسلمة) أغايتك فراغ صبرى ؟ ماذا أصابك ؟ هات ما عندك، و اكشف عن نفسك، ولنضع حدا لهذا العذاب .

آنخيل : انظرى ، إوفيميا ، يخلق الإيمان غايته .. نستطيع أن نخرج الأشياء من العدم بقوة حاجتنا لها ... ، أليس كذلك ؟ أليس الله إلا غاية البشرية الأبدية و حنينها العارم ؟

إوفيميا : (بعذوبة) ... آنخيل ، ماذا أصابك ؟ .. هات ما عندك .. افتح لى صدرك ...

آنخيل : ماذا أصابنى ؟ ماذا أصابنى ؟ ... أأدرى أنا ذاتى ماذا أصابنى ؟... روحى يعوزها النقاء ، أننى أكفر عن جريمة اقترفت قبل أن أولد .. (يحدق فى صورة أمه) أترين هذه الصورة ؟ تبدو كما لو كانت أمى تنظرلى ، ليس من قبرها ، بل من العالم الآخر ، من اللغز الصامت ... ماذا هناك ؟ إنه هاجس يمتلكنى ... هذا العدم ، هذا العدم المروع الذى يتسلط علىّ بمجرد أن أغلق عينى .. إنه فراغ بلا حدود .. لماذا تنظريننى هكذا ؟ اغفرى لى إذا كنت أعذبك .. (يسقط أمامها جاثيا على ركبتيه) هكذا، هكذا علينا

أن نكون دائما أبدا نحن البشر ..

إوفيميا : (تقيمه) هيا ... انهض ، واهدأ ،اقشع هذه الأوهام .. اشغل نفسك .. افعل شيئا !

آنخسيل : أنشغل ... أفعل شيئا ! فعل الشيء ليس إلا شغل للنفس ، لا ، لا أريد أن أفعل شيئا ، لأن الغاية أكبر من مجرد العمل من أجل بلوغها . الفعل تعبير يحقر من قيمة الفكرة .. تفور هنا (يشير إلى رأسه) آلاف الأشياء التى يعجز عنها الوصف، موسيقى خالصة .. موسيقى صامتة . إوفيميا ، خبرينى ، لماذا لا تتفاهم الأرواح انسجاما بلا وسيط لغوى سطحى فظ ؟ لو تناجت الأرواح لعرفنا الحب الحقيقى و ليس هذا التملك الوضيع .. سيكون الكل للكل ، و لا شئ لأحد .. مملكة الله فى توحد الأرواح فى روح واحدة . لا ، لا أريد أن أفعل شيئا . تتلاشى بمجرد يقظتى أحلامى الجميلة ، أؤمن أن الحكمة الإلهية تكمن داخلنا .. فى أعماقنا بعيدة ، لن نصل لها .. تعالى (يأخذ يدها و يضعها على صدره مكان القلب) ماذا يقول لك ؟

إوفيميا : (تحنو عليه كما لو كان طفلا) .. مسكين أنت يا حبيبى !

آنخسيل : نعم ، إوفيميا ، نعم ، أيقظى روح الأمومة فيك ، و خذينى ابنا .

إوفيميا : سنرحل إلى حيث الطبيعة ، و هناك تستعيد صحتك

المفقودة .

آنخيل : صحتي ..؟ أى صحة ؟

إوفيميا : اهدأ وثق بنفسك .. لا تكن طفلا .

آنخيل : ألا أكون طفلا (ينهض) ، ألاحظ إرغاما فى حنانك . أفضل أن تفكرى فى نفسك ، وفى صلاح روحك على أن تفكرى فى و فى حالتى .

إوفيميا : لقد بلغت بك الحساسية مبلغها .

آنخيل : نعم ، أشعر كما لو كانت روحى قد تعرت فصارت لحما حيا .

إوفيميا : (بحنان) اهدأ ؛ و تعقل لا تجعلنا نعانى . سنخطط معا لحياة تبرأ بها . و حتى تدرك أن قلقى ليس قلقا عبثيا و أنك كنت تستشعر شيئا ، سآتيك بواحدة من الرسائل التى كتبتها لى قبل ارتباطنا .

آنخيل : أعرفها ، و لست فى حاجة لرؤيتها .

إوفيميا : أريد أن تقرأها من جديد . أستطيع أن أريك أشياء أخرى .

آنخيل : عبثا .

إوفيميا : لا ، لا ليس عبثا .. (تنصرف) .

المشهد السابع

(آنخيل وحده ينظر إلى الصورة ، بعد ذلك تدخل مارتينا)

آنخيل : ماذا بعد الموت يا أماه ؟ نظرتك تطاردنى ، إنها نظرة الغموض .. ربما يحسن نزع هذه الصورة فى أقرب وقت ، تكفينى صورتها فى قلبى . (مناديا) يا من تعيشين عيشة الأبله ، تضحكين للشمس ، وتموتين دون أن تدرى ! البساطة .. البساط ة، كم على أن أجتهد لأكون بسيطا !

مارتينا : (تدخل) أناديت ؟

آنخيل : نعم ، كنت أنادى البساط .. و أناديك . أردت أن تنزعى الصورة من هنا .

مارتينا : صورة أمك ؟

آنخيل : نعم هذه ..

مارتينا : لو كانت لدى صورة لأمى ...

آنخيل : (مقتربا منها) رأيتيها تموت ؟

مارتينا : نعم يا سيدى .

آنخيل : هل ظهرت لك يوما ما فى الحلم؟

مارتينا : لا تقل ...

آنخيل : (يربت على خدها) .. هيا ، لا تكونى بلهاء...، لا تعيرى ما أقول اهتماما .(تدخل إوفيميا تحمل فى يدها بعض الرسائل، تتوقف) لا تذكرينها كثيرا ؟

مارتينا : آه .. سيدتى !

المشهد الثامن

(آنخيل و إوفيميا)

إوفيميا : نعم يا آنخيل (توجه الحديث إلى مارتينا) انصرفى .

آنخيل : انظرى ... هذه بالكاد تفكر ، شكلها ، نظراتها ، موسيقى خالصه .. ، تغرقنى فى جو من السلام .

إوفيميا : واقع الأمر أننى ما عدت قادرة على القيام بدور الممرضة .

آنخيل : يسعدنى أن أراك هكذا ، كما أنت ..

إوفيميا : لن أناسبك ، ينقصنى الخنوع لأكون عبدة لك دون قيد أو شرط .. امرأة رائعة .. ها لك من يعتنى بك .. مثال البساطة ..!

آنخيل : لا شك أن لك جاذبيتك ، بيد أننا أخطأنا .. فلست لك ، و لست لى .

إوفيميا : أشكرك على تعقلك !

آنخيل : كيف ؟

إوفيميا : نعم ، أراك كيفما أرى الآخرين .. واحد من كثير، واهن العزم !... ليس هناك عظيم فى نظر وصيفه...

آنخيل : وصيف؟

إوفيميا : نعم، وصيف، أقصد وصيفة...

آمحيل : أهذا ما خططتموه؟

إوفيميا : الأسلوب الحقير لا يستحق... (طرق على الباب)

آنخيل : ادخل !

العمة رامونا : يسأل عن آنخيل رفاقه ..

إوفيميا : فلنتفاهم معهم . فقد انتهيت معى، أتسمع؟ انتهيت (إلى رامونا) فليدخلوا !

آنخيل : بيد أننا لم نبدأ بعد.. ، أنت لا تعرفين .. (تنصرف إوفيميا) إوفيميا .. إوفيميا ! (يخرج ورائها لكنه يواجه لدى خروجه نيكولاس ، خواكين و تيودورو)

المشهد التاسع

(آنخيل ، خواكين ، نيكولاس و تيودورو)

خواكين : آنخيل !

آنخيل : (يحاول الخروج) دعنى .

خواكين : نحن فى انتظارك .

آنخـــيـل : (يدخل ، فى تحول مفاجئ) تكلم ... هيا .

خـواكين : أنزعجك ؟ (صمت) إذا كان الأمر كذلك ، فسوف ننصرف فى الحال .

آنخـــيـل : قل ما عندك ..

خـواكين : .. هذه الرسالة .. استقالتك .. أمر مستحيل؟

آنخـــيـل : (بجفوة) ليس مستحيلا .. بل ضرورياً !

نيكولاس : لا تعلم ما أثارته من تعليقات .. وأية تعليقات (آنخيل يهز كتفيه بعدم اكتراث) .. لابد من الحفاظ على الكرامة ، لقد جئنا ..

تيـودورو : أنا لا أنظر إلى الأمر كما ينظرون ، رغم المهمة التى جئنا بها أعتقد أن موقفك كريم .. إنه موقف شخصى أهنئك عليه .

آنخـــيـل : لو علمت سعادتك بذلك ، ما أقدمت عليها .

تيـودورو : روح الدعابة لا تفارقك أبدا .

آنخـــيـل : لا تضع لى أوصافا .

خـواكين : (إلى تيودورو) دعك من الدعابة ، أما أنت يا آنخيل فدعك من هذا .. ولنرى إذا كنا نستطيع التوصل إلى تسوية ...

آنخـــيـل : لا أريد تسويات ، على أن أكون حازم الإرادة مرة .

نيكولاس : هذا ما نريد .. أن تكون حازم الإرادة وألا تتخلى عن قضية الشعب . لا يكفى أن يكون الإنسان موهوبا بل عليه

أن يكون قادرا على توظيف هذه الموهبة .

آنخيل : أأنت أيضا يا نيكولاس.. أتعلمت الدرس..؟

خواكين : دعك من الكلام و كن رجلا ولو لمرة واحدة .

آنخيل : كن رجلا .. ، كن رجلا .. نعم ، نعم الرجال ...

خواكين : كل سوداويتك مصدرها الفراغ .

نيكولاس : بالضبط .. ينقصك الفعل ..

خواكين : اعمل وستبرأ.

آنخيل : كفى .. أحفظ عن ظهر قلبك أنشودة العمل، لعنة أصابت الإنسان عندما أراد أن يكون إلها ، يا لرحابة الرمز ..

تيودورو : فكرت أكثر من مرة في دراسة هذا الموضوع..

آنخيل : حتى تشوهه ..

تيودورو : (ساخرا) كما ترى يا أستاذي ...

(يحتد النقاش بين خواكين و نيكولاس)

آنخيل : لا تسخر ، درجت على أن آخذ كل شئ مأخذ الجد .. ربما أكثر من اللازم ..

تيودورو : من قال لك أن كل هذا الذي تراه من عَلي، و تعتقد أنه هذر أو استخفاف ، ليس إلا أكثر الأشياء جدية ، وأن الحياة نفسها ليست مزحة ؟

آنخيل : تثقل الحياة علينا بأناس مثلك. لا تواتيني الرغبة في المناقشة ..

تيودورو : أن ...

خـواكـين : دعه ، آنخيل ! إن الأمر جاد ، لاتكن أنانيا ولا متكبرا . نعم هذه هى الكلمة كبرياء .. إذا كنت تعانى فتحمل ذلك برجولة .

نيكولاس : ستقتل الحياة النشطة آلامك إذا أفرغت عقلك من كل هذه الأوهام .

آنخـــيـل : يستحيل على ما تطلبون .. مستحيل ! آه لو احسنا بالآخرين .. أنتم لا تعلمون ما تعتمل به نفسى .. أنا فى حاجة إلى الراحة و الهدوء و السكينة ، فى حاجة لساعات من الصمت طوال .. للغوص بلا هوادة فى أعماق روحى حتى أكتشف النبع العذب الذى يرويها ، جدول طفولتى .

تيـودورو : لا ضير ، بيد أن هذا شئ آخر . أولا على الإنسان أن يتشكل ، كما يقول " جيته " ..

آنخـــيـل : تؤكد ذلك ؟

تيـودورو : نعم .

آنخـــيـل : الشرف لـ " جيته ".

تيـودورو : ولى .

آنخـــيـل : أنا فى حاجة للراحة وللحرية .. لحرية أكبر .

خـواكـين : وتتهرب من مساندة الشعب ليتمتع بها ..

آنخـــيـل : هذه ليست حرية !

تيـودورو : أتفق معك فى ذلك ، رغم أن هذا قد يثقل عليك ، إن مهمة تحرير الشعب لها أن تستبدلك بآخر ، ربما أفضل منك ،

أمـا إذا كـان بك إصـرار على أن تحـدثنا عن أحـزانك وتوصـيف عـذابات روحك ، فـربما استطعت أن تنجز لنا عملا يسمو بنا و يرفه عن روحنا ..

آنخـــيل : واصل كلامك .

خـواكين : (موجهـا الحديث إلى تيودورو بصـوت منخـفض) نعم ، هيـا ، حـان الوقت ،اطرق الحـديد سـاخنـا، ربما يفـيق .. هيأه لي ..

تيـودورو : حـتى ... حـتى مـخـارجك ... ردودك على... لا تعذبنى بل توفر لى مادة للملاحظة و الدراسة ...

آنخـــيل : نعم ... أنا حالة مرضية ! هيا أكمل .

تيـودورو : لقد ولدت كي تكون شـاعرا . و ليس هناك وسيلة لتخفيف الآلام خير من أن تنصهر في بوتقة الفنون ...

نيكولاس : (يحدث خواكين بصوت منخفض) سوف نخسر بكلامك هذا المواجهة .

تيـودورو : كانت رسالتك ، كتعبير عن موقف ، شئ جميل (يشير فى خـفـاء لخـواكين بالهـدوء والانتظار ، فى حين يأتى هذا بإشارات تدل على فراغ الصبر) بيد أنه ربما كان عليك إجادة صياغتها وألا تعول كثيرا على الارتجال .

آنخـــيل : كفى ... ! كفى ... ! كفى ... !

تيـودورو : أن ...

آنخـــيل : لن أسـمع أكـثـر من ذلك (يأتى خـواكين بما يدل على

ارتياحه) أخرس ..

نيكولاس : حمدا لله .

آنخــــيل : سفهاء !

تيـودورو : الفن هو السلوى الوحيدة فى الحياة .. على الأقل لنا نحن السفهاء ...

آنخـــيل : الفن .. الفن .. (يقـتـرب منه) وعندمـا تموت .. مـاذا ستفعل بالفن ؟

تيـودورو : (يهز كتفيه) آه ! علينا أن نعرف ماذا سيفعل هو بنا ..

آنخـــيل : هؤلاء ... فنانون! (يفـاجئ تيـودورو وهو ينظر للآخـرين نظرة ذات مغزى مشيرا إلى رأسه) نعم ، أنا مجنون ، مجنون أنا .. مجنون .. أعلم أنكم ضقتم بى جميعا .. سـببت لكم السـأم و الملل .. أنا لا أريد إلا السـلام .. السلام ... السلام ..

خـواكين : لن تجده حتى الموت .. !

آنخـــيل : إذن فلأمت ..

نيكولاس : الحياة نضال .

آنخـــيل : نضال ... من أجل ماذا ؟ ... لماذا ؟ قل .. لماذا نناضل .. ماذا نكسب من وراء هذا النضال ؟ ... لماذا أنت صامت ؟

تيـودورو : نكسب الحياة ليس إلا !

آنخـــيل : أى أن نناضل لنحيى .. و نحيى لنناضل .. دائرة الرعب ..

خـواكين : لابد وأن نضع لأنفسنا فى الحياة غاية ..

أنخيل : لماذا ، إذا كان الكون ليس له غاية ؟

خواكين : فلنخلق له غايته ..

نيكولاس : ليسعد الوطن بأيام من المجد .

آنخيل : الوطن ليس فى حاجة إلى المجد .. ليس لأبنائه حاجة إلا للسعادة ... المجد ! ... المجد ! طموح أبدى للخلود ... زيف خلود !

خواكين : ليس هناك أكثر إنسانية من الرغبة فى أن نخلف وراءنا شيئا يبقى ذكرانا ..

آنخيل : نا ... وليس ى .. ذكرى .. لا ! كيف يكون المجد مجدى عندما لا أكون ؟ ... بدونى لا شئ !

نيكولاس : يجب ألا يكون الإنسان أنانيا ، علينا النضال من أجل الآخرين ...

آنخيل : يجب ألا ... ، يجب ... ، كلها فروض ... ! و الآخرون .. ألا يموتون ؟

نيكولاس : فى سبيل الحق .. والخير .. والجمال !

آنخيل : الحق ! حقيقة ماذا ؟ .. أى جمال .. ؟ وخير من ؟ لا تعوزكم الأسماء الرنانة لملأ الفراغ . وهم الأوهام .. الكل باطل .. آه ! دعنى .. دعنى .. ، لا أريد أن أموت .. ، لا.. ، لا أريد ..

خواكين : لقد سمعت منك من قبل غير هذا .

آنخيل : حقا ، خوفا من الموت راودتنى فكرة الانتحار أكثر من مرة

، أن أتجـرع الكأس ، أن أتوجـه إلى المجـهـول .. ، لأرى ماذا هناك!

تيـودورو : تجريد خالص .

آنـخـــيـل : هذا .. هذا هو آفة الروح .

خــواكـين : حسن .. كفى ، لقد تهيجت أكثر من اللازم .. لن تأتى هذه الأوهام شيئا عمليا . خذ قراراً بما تفعل .. ينتظر بقية الرفاق قرارك الأخير .

آنـخـــيـل : ألم أبلغكم بالقرار ؟

خــواكـين : كان قرارك .. مزاحا ، وقد يقبل العدول عنه بصعوبة .. لو تخليت عن القضية سيعدونك خائنا ..

آنـخـــيـل : آه .. أهكذا الأمر ؟

خــواكـين : من غير الحكمة أن تواجه الاتهام بالخيانة .

آنـخـــيـل : لا أريد أن أكون خائنا لضميرى .

نيـكـولاس : ستعيش حياة بائسة .

آنـخـــيـل : لن أراها كذلك ..

نيـكـولاس : هكذا تتخلى عنا ، عن أصدقائك فى هذا الوقت الحرج .. و تيسر الأمر لورينو و عصبته ..

آنـخـــيـل : حمدا الله أنك كشفت عما فى نفسك ، نيكولاس .. أحببتك دائما لإخلاصك ، أحمد الله أنك كنت صريحا .. أنتم فى حاجة لعونى .. تريدون استخدام اسمى و مكانتى .. لكى تظفروا بالحرية التى تريدون ... إذن أنا فريستكم . على

العناية بصحتى. إليكم عنى و افعلوا ما تشتهون .

خــواكـيـن : نعم ، الآن تكشف عن حقيقة أعماق روحك ، عن أنانيتك . أنا شخصيا أرفض عونك .. كما أرفض صداقتك و التعامل معك.

نيـكـولاس : رويدك !

آنـخـــيـل : دعه ، من الأفضل أن يواصل كل إنسان طريقه ، لكم طريقكم ، ولى طريقى .. ربما نلتقى فى النهاية ..

تيــودورو : فى باطن أمنا الأرض .

آنـخـــيـل : أحسنت .. أيها الفنان ، أحسنت .. وأنت ، عن ماذا تبحث فى مهمة تحقيق سيادة الشعب ؟ انفعالات جديدة .. أليس كذلك ؟

ثيــودورو : ابحث عما رميت إليه من هذه الزيارة .

آنـخـــيـل : أن أكون موضوعا لك ، كم سيدفعون لك مقابل ما ألهمتك ؟ (يضع يده فى جيبه) أتريد أن أدفع لك ؟

تيــودورو : هيا بنا .. فقد خرج رجلنا العظيم عن دوره .. ليس بين السمو والسخف إلا شعرة. فلنتركه وحده مع أفكاره .

آنـخـــيـل : مع أخلص الأصدقاء .

خــواكـيـن : أو ألد الأعداء .

آنـخـــيـل : لماذا على أن أكون كما تريدون و ليس كما أريد أنا أن أكون ؟

خــواكـيـن : لا يستحق الصداقة من لا يقدرها ..

آنخيل : إذن خلصونى من صداقتكم .. يا رسل الحرية !

خواكين : بهذا انتهينا ..

نيكولاس : و أنا ...

آنخيل : نعم ، أنت ... اصمت و أنصرف ولا تعود.

نيكولاس : فلتصمت أنت .. أيها المستبد .

خواكين : نتركك في رعاية الله .

آنخيل : وهو يكفين .. (مشيرا إلى الباب) اخرجا ... أخرجا من منزلى !

تيودورو : (خارجا) نتمنى لك الشفاء .. إلى اللقاء فى القبر !

(ينصرفون)

المشهد العاشر

(آنخيل وحده ينادى إثر خروجهم)

خواكين ... خواكين ... ألا تسمعنى .. لماذا أناديه إذ كنت أعلم أنه لا يسمعنى ؟ (يعود إلى وسط خشبة المسرح) لابد من قطع الصلات التى تربطنى بعالم البؤس ، على أن أنسى كما ينسى الحلم هذا الماضى الميت . سأصحب زوجتى الآن و نعتكف فى سكون الطبيعة .. ، أروضها و تروضنى .. إنها تناضل .. تناضل كما أناضل !

سأستحث روح الأمومة فيها ، هذا الروح الكامن فى كل امرأة، هذا الروح الذى يخلد إلى النوم عندما لا يحلم .. أستحثه بأن أكون ابنها الروحى .. ستحيي فى ذكرى أمى (ينظر إلى صورة أمه) مسكينة (يتجه إلى المكتب ويخرج من أحد أدراجه كتاب صلوات) كان هذا ، .. هذا . على هذه الصفحات بصمات أصابعها التى طالما مسحت دموعى ، التى اعتصرت صدرها لتغذينى بعصارته ، هذه الأصابع ، هنا حطت أصابعك ، أماه ، وربما شفتيك (يقبل الكتاب) فى هذه الصفحات رعت روحك .. روحها ؟ ماذا حدث لها ؟ (يفتح الكتاب و يقرأ) " بجناحين يسمو الإنسان على كل ما هو أرضى ، جناحان من البساطة و النقاء " (يغلق الكتاب) البساطة و النقاء ! محال .. نعم محال ! . لا أستطيع أن أكون بسيطا . دافعى إلى البساطة ليس فيه من البساطة شئ ، تطلعى للنقاء ليس به من النقاء شئ .. آه لو كان لهذا الكتاب أن يهبنى الروح التى تركتها فى صفحاته عندما حطت عليه نظراتها البسيطة النقية !

(تدخل العمة رامونا)

آنخيل : (يلتفت فزعا) ما بك ؟

العمة : كلفتنى أوفيميا أن أسلمك هذه الرسالة .

آنخيل : أين هى ؟

آنخيل : (مقتربا منها) لكن .. إلى أين ؟ ... وكيف ؟

العمة : رحلت !

آنخيل : نعم ، سمعتك . لكن .. إلى أين ؟ ... وكيف ؟

العمة : سيدى ... رحلت ... رحلت لأنها لم تستطع تحملك !

آنخيل : (بذهول) رحلت . فلترحلى أنت أيضا !

العمة : سأرحل بمجرد أعداد حاجياتى ... (تنصرف) طاغية !

آنخيل : (يفتح الرسالة و يقرأها) " لن أتوانى لحظة واحدة .. سأرحل لأننى أخشى اللقاء. لقد بلغت غايتك . سأرحل و أدعك حرا ، للحرية التى طالما تطلعت لها . أعرف أننى أعكر صفو السكينة التى أنت فى حاجة إليها . فلتجد حلا لمشكلتك ، كما أجد حلا لمشكلتى . سأذهب إلى منزل العمة تيريسا حيث أعلم أنك لن تأتى للتنغيص على .. لم يخلق أحدنا للآخر .. سر فى طريقك ، وأنا فى طريقى . لا أدرى ، لا أدرى إذا كنت ستعثر فيه على من كانت حبيبتك" (متداعيا) من كانت ... كانت ..! كانت ! (يعاود القراءة) " وأدعك حرا ، للحرية التى طالما تطلعت إليها .. ، أجد حلا لمشكلتى " . مشكلتها ! إذن فلديها مشكلة أيضا .. نعم ، روحها كروحى ! حرية ... ، حرية ... حرية ... ! وحدى ...، وحدى... (يجلس) ، مرتكزا برأسه على راحتيه ، وبعد وقفة صغيرة ، مادا ذراعيه) المجتمع

.. ، الطبيعة ... ، الأرض ... ، السماء ... ، الدنيا ... ، يا للعظمة.. يا للعظمة ... (....) وأنا ضائع كنقطة مياه فى محيط بلا ضفاف .. فليبتلعنى ، لأصير عدما .. الكل لانهائى ... وأنا وحيد .. عاجز عن الخروج من نفسى .. يجب أن أضع حدا نهائيا (يذهب إلى الدرج و يخرج منه مسدسات ، ينتقى واحدا ، يتوقف عندما يسمع بيانو الجار يعزف مقطوعة ستراديلا " الرحمة يا إلهى ") آه يا لا ما أشاعه هذا النشيد فى قلبى يوما ما .. كم أتسع لألحانه .. ! " الرحمة يا إلهى "

(يجثو على ركبتيه ، تدخل مارتينا)

المشهد الحادى عشر

(آنخيل و بيبى)

مارتينا : السيد خوسيه ...

آنخيل : بيبى ؟

مارتينا : نعم ... ماذا أقول له ؟

آنخيل : فليدخل .. ، نعم ... ، فليدخل (يضع آنخيل بمجرد خروج مارتينا المسدس على المكتب ، و يجثو على ركبتيه مستندا بيديه على حافة المكتب . يقف بيبى مذهولا عندما يدخل ويرى آنخيل في هذا الوضع)

آنخيل : ما بك ؟
بيبى : لا .. لن أقاطعك .. لن أقاطعك .. ، لكن ...
آنخيل : (ينهض) سألتك ما بك ؟
بيبى : (يتراجع بين الخوف و الدهشة) أعتقد أننى قاطعتك .
آنخيل : نعم ، قاطعتنى ...
بيبى : إن ...
آنخيل : ما خطبك ؟
بيبى : مورينو ...
آنخيل : مورينو ؟ وفر عليك جهدك .
بيبى : آنخيل .. بالله عليك ، ماذا يحدث ؟
آنخيل : نعم .. بالله .. بالله ، بيبى .. ، لا تعذبنى (باكيا) لقد هجرتنى أوفيميا ... رحلت .
بيبى : أوفيميا ؟
آنخيل : نعم ... ، هى ... أوفيميا .
بيبى : (فاتحا ذراعيه) أيها المسكين !
آنخيل : (يلقى نفسه بين ذراعيه) أنت إنسان طيب .. أنت ... لقد أصبحت وحيدا ... وحيدا .
بيبى : لست وحدك .. أنت معى !
آنخيل : معك ... بيبى ... لماذا أحط من قدرك إذا كنت بهذا القدر من الطيبة ؟
بيبى : (يبتعد عنه) أنت ؟ تحط من قدرى؟ أنا؟

آنخـيـل : نعم ، أنا ... أنت !

بيـبـى : آنخيل ! لكن ... (يقترب من آنخيل ، يتناول يده ويقبلها)
آنخـيل ! (يحـاول آنخـيل أن يجثـو على ركـبتـيه أمـام
صديقه) لا ، لا ، أنهض .. لاهذا و لاذاك !
(يتناول بيبى قبعته و يتوجه إلى الباب)

آنخـيـل : وحيد ... نعم ... وحيد ... انصرف عنى إلى الأبد بعدما
اعـتـرفت لك ... أترى ؟ ... أتصـمت ! ؟ (يـخـرج بيـبى)
لست وحـدى ... أنا مـعك يا إلـهى .. إلـهى أين أنت ..
وحـدى ... بذنوبى ! أيهـا القلب المتكبـر .. أردت الانفـراد
بالقمة ... تعالى، تعالى و املأ وحدة روحى !
(يسقط جاثيا على ركبتيه و يسدل الستار)

الفصل الثالث

(غرفة فى منزل متواضع ، فى جانب منها شرفة أو نافذة تطل على الشارع ، فى الجانب الآخر أريكة . على أحد جدران الغرفة تمثال للمسيح)

المشهد الأول

(فيليبى و أبناه ، ست و تسع سنوات)

فيليبى : و أسكنهما الله هذه الروضة الجميلة و ليحرثانها ، ويعيشان بها، ويمضيان حياتهما يحمدان الرب . ولم يحرم عليهما شيئا إلا أن يقربا الشجرة ؛ شجرة أدراك الخير و الشر ..

الطفل الأكبر : أبى ، أى شجرة هذه ؟

فيليبى : شجرة كبيرة ، كبيرة و جميلة ، بيد أنها مسمومة .

الطفل الأكبر : أى ، يموت من يأكل منها ..

فيليبى : نعم ، يموت ، لذلك حرم عليهما الأكل منها ، لكن الشيطان الماكر ؛ تنكر فى ثعبان و خدع حواء ..

الطفل الصغير: وهل تتحدث الثعابين يأبتى ؟

فيليبس : نعم ، تتحدث كل الأشياء إذا شاء الله . خدع حواء قائلا لها أنهما إذا أكلا من تلك الشجرة سيصيران إلهين ، ويعلمان كل شئ ..

الطفل الأكبر : وما هو الإله ، يا أبتى ؟

فيليبس : هو العالم بكل شئ ، كل شئ ، القادر على كل شئ ...

الطفل الصغير: والآمر بكل شئ ، أليس ذلك صحيحا ، ياأبتى ؟

فيليبس : نعم ، يابنى ..

(يدخل آنخيل خلسة ، و يظل واقفا على الباب)

الطفل الصغير: إذن ، أريد أن أكون ربا ، لكى آمر الجميع ...

فيليبس : لا يا بنى ، يجب ألا تتمنى ذلك ، أنت لا تعلم ما حدث لآدم و حواء بسبب تطلعهما لأن يكونا الهين .

الطفل الصغير: قص علينا ما حدث لهما !

فيليبس : خدع الثعبان حواء ، وخدعت حواء آدم ، فأكلا من شجرة المعرفة ليصيرا إلهين ، غضب الله عليهما لعصيانهما أمره ، استدعى الرب آدم فأختبئ خجلا من أن يراه الرب عاريا ...

الطفل الصغير: أكان عاريا ... يا للسخرية !

فيليبس : نعم ، بيد أنه لم يدرك ذلك إلا بعد أن أكل من الشجرة فاكهتها المحرمة . طردهما الله من الروضة لعصيانهما أمره .. فخرجا باكيين ، وأمر الله أن يقف على باب الروضة ملك يحمل سيفا من نار ..

الطفل الصغير: سيف حارق ، أليس كذلك ، حقا ياأبتى ؟

الطفل الكبير: يالك من أبله ، ألم يقل لك أنه من نار ..

فيليبى : لاتصف أخاك بالبلاهة ، فهذا أثم كبير . طردهما وفرض عليهما أن يعملا ليعيشا ...

الطفل الكبير: (مدركا وجود آنخيل) أبى .. لقد جاء السيد آنخيل ..

فيليبى : (ملتفتا) مرحبا ..

المشهد الثانى

(فيليبى ، الطفلان ، آنخيل)

آنخيل : (داخلا) لا ، لا تتوقف ، تابع حكايتك ، فهى جديدة أبدا لى وأن كانت عتيقة ... هيا ... سأجلس بين الطفلين لأسمعها ..

الطفل الكبير: نعم ، قص ياأبتى ، حكاية قابيل و هابيل ..

فيليبى : دعانا ، اذهبا للعب فى الحديقة .

آنخيل : دعهما معنا ...

فيليبى : لا ، بل لينصرفا ، هيا يا أبنائى ، اذهبا إلى الحديقة . (يقبلان أبيهما ، ويقبلهما آنخيل قائلا)

آنخيل : هاهو اللغز حيا .. ما مصيره ؟ هذه سن الحرية ، سرعان

ما تتفتح أمامه الطرق .. وعليه أن يختار واحد ناكرا على نفسه بقيتها ، عندما يختاره عليه أن يمشيه . الزمن لا يزدوج ولا يتقهقر .. لغز مفزع ، يكشف لى عن وجهه مرارا وتكرارا. ماذا كان من أمر آدم و حواء ؟

الطفل الصغير: وضع لهما حارسا للباب ملكا يحمل سيفا من نار .. يحرق ..

آنخيل : لا بأس .. اذهب صاحبتك السلامة ... إلى اللعب ... إلى الحياة .

(يقبلهما و ينصرف الطفلان)

المشهد الثالث

(آنخيل و فيليبى)

آنخيل : (يجلس) نعم ، يشاء الإنسان أن يكون إله ، عالما بالخير و الشر ، أكلها ، فأدرك أول ما أدرك عريه ،فرأى نفسه مضطرا للعمل و التقدم ..

فيليبى : هناك لجب فى الخارج ، لا أدرى لماذا . كيف تسير الثورة ؟

آنخيل : وماذا يهمنا فى ذلك ؟ عندما كنت واقفا على باب الغرفة

أنصت لك شعرت أن عبق طفولتى الخلاق يسرى فى دمى متدفقا من أعماق روحى ... يالها من أيام تلك ...

فيليبى : إنه الطفل الذى يغفو فينا جميعا .. هو عين روحنا ، هو العادل الذى يبرر وجودنا ..

آنخيل : تعلم أن الحظ أسعدنى بأن أولد فى ضيعة ترقد فى أحضان الطبيعة و الهواء الطلق . و هكذا استطعت طفلا أن أشب فى مجتمع برئ كالطفولة ، فشبعت روحى البكر من نضارة خضرة تلك البقعة الصغيرة الشفافة ..

فيليبى : إن تحرير الطفل من ربقة أعراف الكبار له دور كبير فى نشأته ..

آنخيل : أحمله دائما أبدا فى أعماق أعماق روحى حيث تكمن فيض فجر حياتى النقى ، أحمل ظلال سكينة حياة ضيعتى ، مسقط رأسى ، .. حياة بلا تاريخ ..

فيليبى : أتمثلها أمام عينى ..

آنخيل : أتتذكر المدرسة التى تعلمت فيها القراءة و الكتابة و الحساب ، وقصص القديسين والأنبياء . كانت للمدرسة نوافذ مفتوحة على الحقول الطليقة. كنا نذهب أطفالا بعد الخروج من المدرسة نهيم بين الزراعات نملأ أنفسنا بالهواء و الضياء لتستغرق فى نوم عميق بمجرد اقترابنا من الفراش ..

فيليبى : آنخيل أنك تثير فى حلم طفولتى .

آنخيل : دعنى أغرق فيه .. عندما أنهيت دراستى صحبونى إلى القس استعدادا للمرحلة التالية .. مسكين القس باسكوال ! تجسد ذكراه فى نفسى مناخ الطفولة الذى عشته فى الضيعة المتواضعة التى ترعرعت فيها طفولة روحى .. كانت داره تثير فى نفسى مشاعر الاحترام التى أكنها للكنيسة ، بل بدت لى أكثر التصاقا بنفسى و أكثر رحابة من الكنيسة .. كنت أشم دائما ، فى ضوء مكتبه الخافت الذى تلقيت فيه دروسى ، رائحة البخور التى كان ينضح بها المكان . تحت أقدام تمثال قديم للمسيح من العاج تراكمت كتب الصلوات و النصوص البالية التى رعتها روح القس العجوز الصافية .

(يسمع فى الخارج صوت جمع من الناس يمر صائحا تحيا الحرية .. تحيا .. يحيا الشعب .. يحيا .. فليسقط الطغاة .. يحيا مورينو ...)

فيليبى : إنهم ثائرون .

آنخيل : مساكين ... كان القس يتفاخر أنه موسيقى ... وكثيرا ما شاهدته يعزف على " بيانو عتيق " . كنت أقف على الباب مذهولا مستغرقا فى هذه الألحان التى كانت تضفى على المكان جوا من الطهارة يمتزج بعبق البخور، فأرى فى ذاك المسكن العفيف تجسيدا حيا لقرون طوال من تاريخ ضيعتى ...

فيليبى : يالها من حرية ، آنخيل ، حرية حقه .. حرية مسيحية ...

آنخيل : بعد انتهاء الدرس كان القس يربت على خدى قائلا " كن صالحا يا بنى " كان يؤمن أنه عليه نصحى .. ، تصور، بساطة فى غير ضعف ... لن أنسى ما حييت أنغام البيانو كما لن أنسى قسمات وجهه الشاحب ... على أية حال بين نصائحه وما عداها كانت الموسيقى هى التى تهب الحياة وليست الكلمات .. هنا بداخلى ، هنا مازلت أحمل " كن صالحا يا بنى " فلأكن صالحا .. ، فلأكن صالحا ...

(يطأطأ رأسه و يستند بها على كفيه باكيا)

فيليبى : آنخيل .. اهدأ .. ، نعم .. أنت صالح ..

آنخيل : ليس هناك من صالح إلا الله .. !

فيليبى : هون على نفسك هذه الهواجس وعد إلى طفولتك .

آنخيل : نعم ، علينا أن نصير أطفالا حتى ندخل مملكة السماء . لكنك تعلم كيف أضاعتنى المدينة . لقد جئتها لكى ألتهم الكتب .. آه من زمن المدينة الأول .. كم من مرة قبعت متخفيا فى ركن من أركان الكاتدرائية العتيقة أهتز كشجيرة واهنا على أصوات الأرغن غارقا فى بحر من الشرود .. آلاف من يرقات الأفكار كانت تهيم فى وعيى سحرا .. تجرفها أنغام الأرغن الجليلة لتظللنى سحابة تغرق روحى .. أجاهد فى خضمها مطالبا بالحرية ..

فيليبى : نعم ، الحرية التى عليك أن تحصل عليها الآن ، وقد

أصبحت وحيدا .. ، وحيدا مع الله !

آنخـــيـل : كم جثوت على ركبتى ، ونعمت بآلامها ، وفرغت بسكب همة قلبى دموعا متوانية صامتة . كم حلمت أننى قديس ، أننى أعتصر قلبى ندما أو أسقط شهيدا ، أو أقف على عتبات نشوة صوفية .. وغالبا ما انتهى الحلم أن أكون إمبراطورا شامخا فى ميدان القتال (يسمع ضجيج مجموعات الناس) .. ماذا ؟

فـيليـبي : مجموعة تتجه إلى ميدان المعركة . فهذا هو الطريق المتجه من الحى الشمالى إلى الحى الشرقى ..

آنخـــيـل : أيضايقك أن أقص عليك شيئا تحذره إذا لم تعرفه ؟ يالتلك الأيام التى عشتها فى كنف الإيمان ! كان عالم إيمانى عالم خاص بى ، كم نصبت من نفسى ممثلا بطلا لكوميديتى الإلهية .. فى الوقت الذى يلح فيه الجسد على الجميع ألحت علىّ الروح . أردت أن أخضع الأيمان لمتطلبات العقل . تعلم أننى حاولت الغوص فى أكثر المشاكل غموضا ، فى خفايا الأسرار الدينية ، وبما أن ذلك حدث فى العمر الذى تتفتح فيه فى روح الإنسانية جمعاء تشوقت أن أشمل نظرى الكون كله .. أنت تعرف كل ما يتعلق سنوات دراستى ...

فـيليـبى : نعم أعرف .

آنخـــيـل : تعرف أحزانى، و تعلم أنه طوال هذه السنوات لم تبارح

خاطرى كلمات القس باسكوال " كن صالحا يا آنخيل "

فيليبى : لا تنظر إلى الماضى ، تذكر امرأة لوط ، انظر أمامك ، إلى المستقبل ، إلى مملكة الخير .

آنخيل : المستقبل ... المستقبل و ماذا هناك ؟ تعلم أنه لن يفارقنى أبدا طيف العدم الرهيب ، بيد أن ما لا تعرفه هو ذلك الحدث الذى جرى لى طفلا . اسمع . أردت أن أعرف مستقبلى و ذات صباح بعد أن صفوت إلى نفسى جثوت على ركبتى ، و فتحت الإنجيل كيفما أتفق ، وضعت إصبعى على تلك الكلمات التى تقول " اذهبوا و بشروا بالإنجيل كافة الأمم " استغرقت فى التفكير و بدأت دون اتخاذ أى قرار فى اجترار هذه الكلمات و خلصت إلى أننى يجب أن أجد لدى الرب تفسيرا . وفى صباح آخر و بنفس المهابة و الإجلال فتحت الإنجيل لأقرأ ما قاله "الكفيف " الذى أبصر للفريسيين " قلت لكم ولم تسمعوننى ، لماذا تريدون أن أقول من جديد "

فيليبى : غريب هذا .

آنخيل : جبل ، لو تداعى فوق رأسى جبل ما أحدث فىّ نفس الأثر . كنت كمن يغرق .

فيليبى : غريب ، نعم غريب .

آنخيل : هذه الكلمات " كن صالحا يا آنخيل " كتلك، لم تفارقنى أبدا ، أبدا . خاصة منذ أن تزوجت . ما علينا من زواجى

، كانت هي التي رمت بي إلى الحياة العامة ، هي التي أرادت أن أثمل بنشوة المجد ، هي حواء التي قدمت لي من الشجرة المحرّمة ، و تركتني .. تركتني وحدي .. وحدي ..

فيليبى : وحدك .. لا

آنخيل : بل وحدي ، وعانيت ما لا يعانيه أحد أتهمت بالجنون ، أو على الأقل كان يبدو على هذا ... لماذا ؟ لماذا تعتقد أنني فعلت ذلك ؟ لأثير فضول الآخرين .. لكي أصنع من نفسي شخصية هامة، لأنه جنون وعبقرية .. لا أدري لماذا ! عشت لا أعرف إلا نفسي .. ، عشت في كبرياء شيطاني ..

فيليبى : آنخيل ، هدأ من روعك ، فأنت تهول باتهام نفسك بالتكبر و من الدارج أن يؤدي هذا إلى أن يقلل الإنسان من قيمة نفسه .

آنخيل : أصبت ، من التكبر أن يتبسط الإنسان بغية أن يمجده الآخرون .. أليس من الشيطان أيضا أن يقف الإنسان على قارعة الطريق يستجدي عطف المارة بذراع أكتع متهرئ (يسمع صوت جمع آخر يمر هاتفا .. تحيا الحرية) تحيا .. نعم ، تحيا الحرية ، الحرية .. الحرية المقدسة أن أكون كما صورني الله و ليس كما تريدني الدنيا ...، الحرية (يجلس باكيا)

فيليبى : آنخيل .. اهدأ .

آنخيل : فيليبى .. أتتذكر يوما كنت تحمل فيه أبنك مريضا بين ذراعيك ؟ كان المسكين قابعا بين أحضانك يقول كلما نأى عن بصرك " ضمنى إلى صدرك يا أبتى " ، بدفء صدرك و نظرة عينيك الجانبية راح فى ثبات عميق. أنا لا أطلب أكثر من هذا .. أكثر من هذا ! كل ما أريده أن يأخذنى الله الذى لا تدركه الأبصار فى أحضانه ، أن أشعر بدفء صدره الرحب ، بوقع رحمته ، أن انظرنى فى نظرته ، فى هذه السماء النقية الطاهرة ، و أنام فى سلام !

فيليبى : آنخيل ، كن صالحا !

آنخيل : (ينتبه فزعا) آه ، هذا الصوت .. ! لا ، لست أنت فيليبى .. نعم ، بل أنت .. !

فيليبى : آنخيل ، (...) ، صلى (طرق على الباب) من الطارق ؟ (يخرج ليفتح .. يدخل خواكين)

المشهد الرابع

(آنخيل ، فيليبى ، خواكين)

آنخيل : أنت ؟

خواكين : نعم ، أنا ، رغم أنك طردتنى من منزلك . وأنكرت على صداقتك . جئت ربما لأخلصك ..

آنخيل : لتخلصنى ؟

خــواكـيـن : نعم ، لأخلصك ! تواجـه الحـركـة مـقـاومـة أكـبر مما كنا ننتظر ، بدأ لكلمـة الخـيـانة صـدى فى الآذان ، وقـد يسـوء مصيرك لأن ملجأك هذا ليس سرا على أحد .

آنـخـــيـل : لن ينسانى الله ...

خــواكـيـن : قد تتعرض حياتك للخطر ..

آنـخـــيـل : أفضل من أن يتعرض موتى للخطر ..

خــواكـيـن : دعك من هاجس الموت اللعين ..

آنـخـــيـل : أفضل من هاجس الحياة .

خــواكـيـن : سينتهى بك هذا الفكر إلى قتلك حيا .

آنـخـــيـل : به يغاير الإنسان الحيوان ، كلما فكرت فى الموت ، كلما زدت إنسانية .

خــواكـيـن : لا تكن مجنونا .. كن رجلا .. انظر إن كل ما حولنا يتقدم .

آنـخـــيـل : كفى .. كل هذه أسباب ، ليست إلا مجرد أسباب !

خــواكـيـن : إن ..

آنـخـــيـل : اكتشاف الميكروبات يجب أن يكون سلوى لمرضى السل .

خــواكـيـن : سيؤدى إلى علاجهم .. كفاك شرودا . تيقظ أنت فى خطر ، أتعلم أن مورينو ..

آنـخـــيـل : مسكين !

خــواكـيـن : ألا تعلم أنه لا يزعـجنى إلا هـوسك فـى أن ترى الجـمـيع حمقى غير نابهين .. نادرا ما تكره ، ما تزدرى.

آنـخـــيـل : ولست على ذلك آسفًا .

فيليبى : ليتك تأسف حقا ..

خواكين : رغم أنك فعلت الكثير ..

آنخيل : لماذا ؟ أأسف على هذه على هذه الحضارة التى سيقضى عليها المورفين ؟

خواكين : علينا أن نخفف من بؤس الآخرين ، طالما هناك من يموت جوعا فليس لما يجرى فى رأسك أهمية . إذا كان الله موجودا فسيقرر ما عليه أن يفعل بنا ، و إن لم يكن ...

فيليبى : إن لم يكن...!؟

آنخيل : أصمت ، ألا تؤمنون إلا بهذا الجوع .. جوع الجسد .

خواكين : لا جوع غيره .. الجوع الوحيد .

آنخيل : أنت لا تعرف معاناة أخرى ..

خواكين : نعم ، معاناة الرفاهية ..

آنخيل : الرفاهية ؟

خواكين : نعم الرفاهية ، التى تشقى بها إذا كان لديك ستة أفواه تطلب خبزا و ليس لديك إلا قوتك لتكسبه . علينا أن نخلص الناس أولا من جوع الجسد ..

فيليبى : وما الغاية ؟

خواكين : للتفكير بعد ذلك فى شئ آخر . ربما تنبع معاناته من بؤس العامة ، من الجوع الذى عاناه أحد أسلافه ..

فيليبى : أوهام مثقفين .

خواكين : أوهام مثقفين ما تزرعه أنت فيه ..

(يدق الباب طرقا عنيفا ، يخرج فيليبى ليفتح ، يدخل نيكولاس)

المشهد الخامس

(آنخيل ، فيليبى ، خواكين ، نيكولاس)

نيكولاس : آنخيل .. أهرب .. أهرب .. خلص نفسك .

آنخيل : الخلاص .. هذا ما أسعى إليه .. أنت ؟

نيكولاس : نعم ، أنا ، رغم كل شئ .. أنا . جمع غفير من الناس قادم يبحث عنك .. عن الخائن ... بدأت الثورة التى تيقنا من نجاحها فى الانهيار ، لا أدرى من أين أتت هؤلاء اللصوص كل هذه القوات (تسمع عن بعد طلقات المدافع) ألا تسمع ؟ يطالبون صارخين بالقبض عليك ..

آنخيل : إذن فليقبضوا على !

فيليبى : آنخيل .. تعقل .

خواكين : فليهرب أولا ..

آنخيل : فليأتوا !

نيكولاس : يأتون .. لا .. عليك أن تأتى أنت معنا .. الهرب .

فيليبى : سنخفيك .

آنخيل : أختبئ ؟ كما فعل آدم عندما ناداه الله ؟ لا أشعر بعار فى أن أقف أمام الشعب عاريا . (ينهض ، يجلس ، ينهض مرة أخرى ، لا يكف عن الحركة بينما يتحدث الآخرون . يطل نيكولاس بين فينة و أخرى من النافذة)

خواكين : آنخيل .. مازال لديك وقت .. ، فرصة أخيرة .. لن تتكرر .. اغتنمها .. ثب إلى رشدك ، كن ولو لمرة واحدة رجلا .. إنسانا .. انفض عنك هذا الشغف الأنانى بالكرب .. هيا ..

آنخيل : (ينهض) ها .. نعم .. هيا بنا ..

نيكولاس : فلنهرب بسرعة .

آنخيل : لا .. لا هرب .. بل لأقف على رؤوسهم لأرشدهم إلى الطريق الصحيح ، لأحول دون شر مستطير ، لأموت فى متراسى . من الجبن أن أختبئ ..

فيليبى : آنخيل .. أجننت ؟

آنخيل : أعتقد أننى كنت مجنونا .. أصبتم .. هيا .. إليهم .. إلى الوحوش الضارية .. إلى خلاصهم ..

فيليبى : وإذا ضعت أنت ؟

آنخيل : من المستحيل أن يضيع الإنسان فى مهمة إنقاذ الآخرين .

نيكولاس : (يمسك به) هذا زعيمنا .. فلتبعث من جديد . مازلت قادرا على إلهاب مشاعرهم بكلماتك .. ، هبهم القوة ..

خلصنا (تسمع أصوات المدافع بعيدة) فلتظهر عليهم ..

فيليبى : لا مخلص إلا الله .. الانتصار سيفتح تحت أقدامك هوة العدم .

آنخيل : (يقترب من فيليبى عاقدا ذراعيه على صدره) العدم .. العدم .. ممكن .. ماذا على أن أفعل ؟

فيليبى : (بهدوء) قلت لك و لم تسمعني .. لماذا تريد أن أقول من جديد ؟

آنخيل : (تتداعى ذراعاه فى انهزام) إلهى .. إلهى إلى متى ؟ .. (يبكى فى تشنج) .

خواكين : ماذا .. كن حازما .. (يطل من النافذة عندما يعى اقتراب الجماهير) ليس هناك وقت نضيعه .. لقد اقتربوا .. هاهم آتون .. آنخيل .. آنخيل .. ألا تسمع ؟

آنخيل : (كمن ثاب إلى رشده) لا .. لن أذهب ، لا .. ، يجب ألا ، لا أستطيع .. لا أريد . لكنى سأخرج لأقول لهم كلمات قليلة من القلب ، فيليبى ، حقا ؟

فيليبى : تشجع و اهدأ ..

(يسمع صراخ و هتاف " يسقط الخونة .. يسقط الخونة .. الموت لهم)

خواكين : ماذا تفعل ؟

فيليبى : ماذا علينا أن نفعل ؟ فلنضع متاريس خلفنا و نستسلم للعناية الإلهية .

(يقترب آنخيل من النافذة بينما يسمع صراخ الجماهير هاتفة بالموت ، ملقية بعض الحجارة ، يسقط بعض من زجاج النافذة)

فيليبى : (يهرع إلى الخارج من الباب المؤدى إلى الحديقة) أطفالى .. إلهى .. الأطفال ..

نيكولاس : (يتقدم إلى آنخيل) انسحب .. لا تكن مجنونا ..

آنخيل : (يدفعه بقوة) دعنى لهم ..

(يفتح النافذة فى الوقت الذى يسمع " تحيا الحرية " .. تحيا فى نفس الوقت الذى تسمع فيه كلمات " منافق .. خائن " تقذف بعض الأحجار فيسقط زجاج آخر)

نيكولاس : آنخيل .. بالله عليك .. بالله عليك (يخرج مسدسا)

خواكين : مجنون ... لا شك فى ذلك !

آنخيل : (موجها كلامه إلى للجماهير) نعم ، تحيا الحرية (تهدأ الجماهير و يصير الصراخ غمغمة) تحيا الحرية .. ما الحرية ... الحرية هى الحياة ، أقولها لكم أنا أيضا .. الحرية المقدسة .. روح العالم و لب الفكرة .. لكن .. قليلون يا أبنائى (تسمع أصوات " لا مواعظ " ... "الموت للخونة ".."الصمت "، " دعوه يتحدث ") قليلون من يبلغون قمم الحرية الحق .. تطالبون بالحرية و تأتون لتنزعونها منى ، لا تريدون أن أكون كما أكون .. الحرية ! (صوت : فليصمت الخائن) خائن ؟ أتعلمون ما هى الخيانة ؟

(الجماهير : " فليصمت .. الموت له " ، يظهر فيليبى بصحبة الطفلين ، يقف بالقرب منه ، بينما ينزوى الأطفال فى ركن حتى نهاية المشهد) لا ، لن أصمت ما كنت حيا .،، يجب ألا أصمت فأنا كلمة .. ، صمتى موتى .. لا أريد أن أموت .. لن أموت .. أنتم حفنة من الجبناء (تتزايد الجماهير والأحجار عددا و حجما .. يسمع صوت رصاص .. يتهاوى أنخيل .. يتماسك) نعم .. جبناء .. جبناء .. ، جبناء ..

(يسقط أرضا، يهرع إليه فيليبى وخواكين ونيكولاس بينما يصمت الحشد)

فيليبى : إلهى .. أماتوه !

الطفل الصغير: (إلى الكبير) قتلوه .

نيكولاس : طبيب .. ماء .. سرير .

خواكين : هناك .. على هذه الأريكة ..

(يحملاه إلى الأريكة)

فيليبى : مازال حيا .. ربما كان جرحا طفيفا ..

نيكولاس : دلكوه !

خواكين : لا .. فلنرى أولا ما أصابه .

نيكولاس : سفلة ! جبناء ! لقد تفرقوا .. صمتوا

(يضعانه على الأريكة)

خواكين : دثروه .

(يذهب فيليبى بحثا عن غطاء ، يصحب الأطفال معه .. يلتفت الأطفال يستطلعون ما يحدث)

آنخيل : (بصوت واهن) نعم .. الحرية .. ، الحرية ..

خواكين : اصمت .. لا تتحدث ..

فيليبى : (عائدا بالغطاء يلقيه على آنخيل) اصمت و استرح .

آنخيل : هى .. هى ..

خواكين : ماذا تقول ؟

آنخيل : هى .. هاهى ..

(طرق عنيف على الباب)

نيكولاس : أأفتح ؟

خواكين : لا ..

المشهد السادس

(المذكورون ، أوفيميا ، أوسيبيو و العمة رامونا)

إوفيميا : (من خارج الغرفة) افتحوا .. افتحوا بسرعة .. افتحوا .. آنخيل

أنخيل : صوتها ..

خواكين : و الآن ؟

(يفتح فيليبى فتدخل أوفيميا و أوسيبيو)

إوفيميا : (تتفحص المكان ، عندما ترى أنخيل طريحا على الأريكة تسرع إليه صارخة) أنخيل حبيبى .

(يظل أوسيبيو جامدا)

آنخيل : أنت .. أنت .. أنت هنا ؟

إوفيميا : نعم .. أنا .. أنا .. حبيبتك !

أنخيل : أنت ؟ .. كيف ؟

إوفيميا : (تتحسسه ، تدخل يدها إلى صدره ، ثم تخرجها ، و تنظرها) آنخيل .. دماء .. الهى .. دماء .

آنخيل : الدماء فدية .. (فى الوقت الذى تطلب فيه العمة رامونا وسادة تسند بها رأسه ، و تصب له كوب ماء) .. ماء

العمة رامونا: هاهو ...

آنخيل : آه لو ولدت من جديد .. لو ولدت من جديد .. الحياة تقتلنى .. ، مباركة الحياة !

خواكين : هكذا .. ، يستقبل الموت بعزة نفس .

إوفيميا : (تنتبه) الموت .. لا .. لا ..

آنخيل : ماذا يعنى الموت ؟

خواكين : حياة !

آنخيل : آه لو ولدت من جديد .. لو ولدت من جديد .. لو كنت آخر ..

أوفيميا : آخر .. لا !

خواكين : فلتعلم أنك آخر ..

آنخيل : نعم آخرون مثلى .. ، الحياة تحيا .. ، وأنا عدم .

خـواكـين : الحياة كل شئ .

آنـخـــيـل : الحياة .. الحياة .. ماذا تعنى الحياة ؟

فـيليـبى : موت !

آنـخـــيـل : مبارك الموت .

أوفـيـمـيـا : لا .. لا يا حبيبى .. لا ، موت لا ، .. حياة ، سنخرج إلى الطبيعة .. سامحنى .. بنى (تجثو على ركبتها أمام زوجها) آنخيل .. حبيبى .. اغفر لى !

آنـخـــيـل : لا ، اغفرى لى أنت .. أنت .. ، وهبتنى حياتك ..

أوفـيـمـيـا : بنى ..

أنـخـــيـل : نعم .. نعم .. أوفـيـمـيـا .. نعم .. أبنك .. ألم تريدى أن تكونى أما ؟ ... كنت لك دائما ابنا، ابنك ، ابنك المريض ... (يتحشرج) أماه ! قلت لك ... ها سطوة الموت!

أوفـيـمـيـا : (تغطى وجهها بكفيها) لا...لا...، الموت لا... ، لا...، لا!

أنـخـــيـل : أتجفلين أمام الموت، أماه ؟ والآخرة؟

أوفـيـمـيـا : آنخيل ، اصمت بالله عليك، اصمت وعش...، لا ... لا أريد أن تموت...، ولن تموت (تحتضنه)

آنـخـــيـل : خواكين ، نيكولاس ، اقتربا. يداكما...، نيكولاس ... أنت أولا.

نيكـولاس : (يمد له يده) ها يدى ... ماذا تريد؟

آنـخـــيـل : (يشد على يده) الحرية... الحرية فى البساطة... بساطة القلب... لا بساطة اللسان... (يقبل يد نيكولاس)

نيكولاس : (منفعلا) آنخيل ... بالله عليك ... ماذا تفعل؟

آنخيل : أصدقائى ، أردت أن تكونى رسلى ، أن أكون النجم وأنتم التوابع، روحكما روحى...

فيليبى : فيليبى آنخيل....

آنخيل : نعم ، أدرك ما تعنى ... افعل ما شئت.(يخرج فيليبى)

إوسيبيو : فلتلتزم الصمت ...

آنخيل : سأصمت إلى الأبد ... وستصمت الأشياء فى أذنى ... " كنت صالحا يا آنخيل" ، صالح... قلت لكم ولم تسمعوننى ، لماذا تريدون أن أقول مرة أخرى ؟ ... انظروا ...انظروا... انظروا الباب يحرسه ملاك بسيف من نار، يحرق...

نيكولاس : يبدو أنه يهذى...

آنخيل : إوفيميا ، يرحل بك الفرس الأعظم...

إوفيميا : إوفيميا ها أنا معك يا حبيبى ...

آنخيل : آنخيل ... آنخيل ... من آنخيل؟ قضيت الدنيا ، انظرى كيف تذوب... أعمى ، أبكم ، أصم ، عاجز ، جماد ، نائم ، نائم إلى الأبد ... أين أنت يا إلهى قف أيها الشعب لا تطأه! أنا ... أنا... أنا حبيبك آنخيل أنا ... أنا... فليرفعوا عنى هذا الأنا الذى يخنقنى. (تنتابه إغماءة)

إوفيميا : إوسيبيو... إوسيبيو ... إنقذه

إوسيبيو : لا خلاص ...

إوفيميا : إذن ... ولماذا أنت؟

آنخيل : المجد...؟ المجد؟

"**إوفيميا** : على من تنادى؟

آنخيل : آه ... أأنت هنا ... لا أراك ... تعالى ... اقتربى... اعطنى يدك ... والمجد ... أماه ، ماذا عن المجد؟

إوفيميا : آنخيل ... اسكت بالله عليك...

آنخيل : غنى لى أغنية المهد لحلم لا ينفد ...، هدهدى لى سكرة موت قادم... صلى من أجلى ، من أجلك ، من أجل الجميع (يدخل فيليبى) صلى ...، صلى...، ربما تتساند صلواتنا فتفتح لنا باب المجد... المجد الأبدى الحق ... مجد السماء ، وليس مجد الأسماء، المجد الأرضى الزائل ... نعم ... نعم... ابك ... ابك ... وصلى (يحدق فى صورة المسيح مصلوبا) انظرى كيف يفتح لى ذراعيه مصلوبا ، دامى الصدر...، أحضان إلهية من الحب والموت... أحضان سلام النزع الأخير...، بالحق أموت... ، ثمن كبريائى... لكنك أنت يا سيد البساطة لم تأت سوءا لتستحق الموت... ربى... اذكرنى فى سماواتك ... ، سلام ...، سلام...، سلام.(يلفظ أنفاسه)

إوفيميا : بنى ... حبيبى . (تعانقه باكية)

إوسيبيو : ربما لا يسمعك !

خواكين : من يدرى ...

نيكولاس : لعن الله السياسة...

فيليبى : رحمه الله...

ختـــــام